

درس ٤١ بداية السيرة إلى بنين الكعبة

نسب النبي ﷺ - مولده - رضاعه - حادثة شق الصدر - وفاة أمه وكفالة جده وعمه له - سفره مع عمه إلى الشام - رحلته إلى الشام مرة ثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد - زواجه بالسيدة خديجة - شهوده بناء الكعبة

نسب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه

هو سيدنا ونبينا محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا هو النسب المتفق على صحته، كما اتفقوا على أن النسب المحمدي الشريف يتصل بسيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ولكن سلسلة النسب بين عدنان وسيدنا إسماعيل عليه السلام لم يثبت علمها من طريق صحيح.

فالجذ الأول للنبي صلى الله عليه وسلم هو عبد المطلب بن هاشم وكان شيخا معظما في قريش يحترمونه ويرجعون إليه في مهمات أمورهم.

وأمه صلى الله عليه وسلم هي أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم بن مرة الذي هو الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه.

مما سبق تعلم أن أباه وأمه صلى الله عليه وسلم من أصل واحد، وأنهما يجتمعان في حكيم بن مرة (وكان يسمى كلابا)، وأن عبد مناف بن زهرة الذي هو الجد الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أمه غير عبد مناف الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه.

ومن جدودهما: فهر، الذي هو (قريش)، وهو عاشر أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، وإليه تنسب أمة قريش كلها، وقد تفرعت منه اثنتا عشرة قبيلة سميت باسمه، منهم بنو عبد مناف الذي هو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم من صميم قريش المشهود لهم بالشرف ورفعة الشأن بين العرب.

وأجداده من جهة أبيه وأمه كلهم سادة كرام، وكل اجتماع بين أجداده وزوجاتهم كان شرعيا بحسب الأصول العربية، فلم يكن في نسبه الشريف شيء من سفاح

الجاهلية فهو نسب شريف طاهر من آباء طاهرين وأمهات طاهرات والحمد لله رب العالمين.

مولده صلى الله عليه وسلم

تزوج عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم؛ وعمره ثماني عشرة سنة ، وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسبا وأكرمهم خلقا. ولما دخل بها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وسافر والده عبد الله عقب ذلك بتجارة له إلى الشام فأدركته الوفاة بالمدينة (يثرب) وهو راجع من الشام، ودفن بها عند أخواله بني عدي بن النجار، وكان ذلك بعد شهرين من حمل أمه أمنة به صلى الله عليه وسلم.

وقد توفي والد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يترك من المال إلا خمسا من الإبل وأمه (أم أيمن).

ولما تمت مدة الحمل ولدت له صلى الله عليه وسلم بمكة المشرفة في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، الذي يوافق سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وهو العام الذي أغار فيه ملك الحبشة على مكة بجيش تتقدمه الفيلة قاصدا هدم الكعبة (البيت الحرام) فأهلكهم الله تعالى.

كانت ولادته صلى الله عليه وسلم في دار عمه أبي طالب في شعب بني هاشم، أي مساكنهم المجتمعة في بقعة واحدة، وسماه جده عبد المطلب (محمدا) ولم يكن هذا الاسم شائعا إذ ذاك عند العرب ولكن الله تعالى ألهمه إياه، فوافق ذلك ما جاء في التوراة من البشارة بالنبي الذي يأتي من بعد عيسى عليه الصلاة والسلام مسمى بهذا الاسم الشريف، لأنه قد جاء في التوراة ما هو صريح في البشارة بنبي تنطبق أوصافه تمام الانطباق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: مسمى، أو موصوفا بعبارة ترجمتها هذا الاسم، كما جاءت البشارة به صلى الله عليه وسلم على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه أحمد، وقد سمي بأحمد كما سمي بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وكانت قابله صلى الله عليه وسلم: الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، وحاضنته: أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله، وقد ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا، وورد أيضا أن جده عبد المطلب ختنه يوم السابع من ولادته الذي سماه فيه.

رضاعه صلى الله عليه وسلم

أرضعته صلى الله عليه وسلم أمه عقب الولادة، ثم أرضعته ثويبة أمة عمه أبي لهب أياما، ثم جاء إلى مكة نسوة من البادية يطلبن أطفالا يرضعنهم ابتغاء المعروف من آباء الرضعاء على حسب عادة أشرف العرب، فإنهم كانوا يدفعون بأولادهم إلى

نساء البادية يرضعنهم هناك حتى يتربوا على النجابة والشهامة وقوة العزيمة، فاخترت لإرضاعه صلى الله عليه وسلم من بين هؤلاء النسوة (حليمة) بنت أبي ذؤيب السعدية؛ من بني سعد بن بكر من قبيلة هوازن التي كانت منازلهم بالبادية بالقرب من مكة المكرمة، فأخذته معها بعد أن استشارت زوجها (أبو كبشة) الذي رجا أن يجعل الله لهم فيه بركة، فحقق الله تعالى رجاءه وبدل عسرهم يسرا، فدر ثديها بعد أن كان لبنها لا يكفي ولدها ، ودرت ناقتهم حتى أشبعتهم جميعا بعد أن كانت لا تغنيهم، وبعد أن وصلوا إلى أرضهم كانت غنمهم تأتيهم شباعا غزيرة اللبن مع أن أرضهم كانت مجدبة (بلا مطر) في تلك السنة، واستمروا في خير وبركة مدة وجوده صلى الله عليه وسلم بينهم. ولما كمل له سنتان فصلته حليمة من الرضاع، ثم أتت به إلى جده وأمه وكلمتهما في رجوعها به وإبقائه عندها فأذنا لها بذلك.

حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم

بعد عودة حليمة السعدية به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى ديار بني سعد بأشهر، بعث الله تعالى ملكين لشق صدره الشريف وتطهيره، فوجده صلى الله عليه وسلم مع أخيه من الرضاع خلف البيوت، فأضجعا وشقا صدره الشريف وطهراه من حظ الشيطان، وكان ذلك الشق بدون مدية (شفرة) ولا آلة بل كان بحالة من خوارق العادة ، ثم أطبقاه، فذهب ذلك الأخ إلى أمه حليمة وأبلغها الخبر، فخرجت إليه هي وزوجها فوجده صلى الله عليه وسلم منتقع اللون من آثار الروع (الفرع)، فالتزمته حليمة والتزمه زوجها حتى ذهب عنه الروع ، فقص عليهما القصة كما أخبرهما أخوه. وقد أحدثت هذه الحادثة عند حليمة وزوجها خوفا عليه، ومما زادا خوفا أن جماعة من نصارى الحبش كانوا رأوه معها فطلبوه منها ليذهبوا به إلى ملكهم، فخشيت عليه من بقاءه عندها، فعادت به صلى الله عليه وسلم إلى أمه وأخبرتها الخبر، وتركته عندها مع ما كانت عليه من الحرص على بقاءه معها.

وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وكفالة جده وعمه له

بعد أن عادت حليمة السعدية به صلى الله عليه وسلم إلى أمه - وكان إذ ذاك في السنة الرابعة من عمره الشريف - بقي مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم بمكة في حفظ الله تعالى، ينبته الله نباتا حسنا ، ثم سافرت به أمه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة لزيارة أخواله هناك من بني عدي بن النجار ، فتوفيت وهي راجعة به من المدينة إلى مكة بجهة (الأبواء) بالقرب من المدينة ودفنت هناك، فقامت به إلى مكة حاضنته أم أيمن وقد بلغ من العمر يومئذ ست سنين، ولما وصلت إلى مكة كفله جده

عبد المطلب بن هاشم، وحن إليه حنانا زاندا وعطف عليه عطا بليغا، حتى توفي عبد المطلب وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين.
وكان جده عبد المطلب يوصي به عمه أبا طالب -الذي هو الأخ الشقيق لأبيه- فلما مات عبد المطلب كان صلى الله عليه وسلم في كفالة عمه أبي طالب يشب على محاسن الأخلاق، متباعدا عن صغائر الأمور التي يشتغل بها الصبيان عادة ، وقد بارك الله تعالى لأبي طالب في الرزق مدة وجوده صلى الله عليه وسلم في كفالته وفي وسط عياله.

سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام

لما أراد أبو طالب أن يسافر إلى الشام في تجارة له رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرافقه، فأخذه معه وسنه إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ، ولما وصلوا بصرى وهي أول بلاد الشام من جهة بلاد العرب قابلهم بها راهب من رهبان النصارى اسمه (بحيرا) - كان يقيم في صومعة له هناك - فسألهم عن ظهور نبي من العرب في هذا الزمن، ثم لما أمعن النظر في النبي صلى الله عليه وسلم وحادثه عرف أنه النبي العربي الذي بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وقال لعمه أنه سيكون لهذا الغلام شأن عظيم، فارجع به واحذر عليه من اليهود ، فلم يمكث أبو طالب في رحلته هذه طويلا بل عاد به إلى مكة حين فرغ من تجارته، وبقي صلى الله عليه وسلم في مكة مثال الكمال، محفوظا من معايب أخلاق الجاهلية، شهما شجاعا حتى إنه حضر مع أعمامه حرب (الفجار) و (حلف الفضول)، وسنه إذ ذاك عشرون سنة.
أما (الفجار) فهي حرب كانت بين قبيلة كنانة ومعها حليفاتها قريش وبين قبيلة قيس، وقد ابتدأت هذه الحرب فيما بين مكة والطائف ووصلت إلى الكعبة، فاستحلت حرمت هذا البيت الذي كان مقدسا عند العرب ولذلك سميت حرب (الفجار).
وأما (حلف الفضول) فكان عقب هذه الحرب، وهو تعاهد بطون قريش (البطن دن القبيلة) على أن ينصروا كل من يجدونه مظلوما بمكة سواء كان من أهلها أو من غير أهلها.

رحلته إلى الشام مرة ثانية في تجارة لخديجة بنت خويلد

كان طريق الكسب في قريش هي التجارة، وكانت خديجة بنت خويلد من بني أسد بن عبد العزى بن قصي سيدة ذات مال، تتاجر في مالها بطريق المضاربة مع من تثق بهم من الرجال ، فلما سمعت بأمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حتى اشتهر بين قومه باسم (الأمين) بعثت إليه، وعرضت عليه أن يسافر بمال لها إلى الشام

وتعطيهِ من الریح أكثر مما كانت تعطي غيره، فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسافر مع غلامها (أي مملوكها) ميسرة فباع واشترى وعاد بريح عظيم. وقد شاهد ميسرة في هذه الرحلة كثيرا من بركات النبي صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له، فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم الشام نزل في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب هناك، فقال هذا الراهب لميسرة أنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وكان ميسرة يشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلا من حر الشمس وهو يسير على بعير دون أن تكون معه مظلة.

زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة بنت خويلد

لما قدم ميسرة إلى سيدته خديجة الحازمة اللبية، وأخبرها بما شاهده من بركات النبي صلى الله عليه وسلم وإكرام الله تعالى له، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وصدق حديثك، وقد خاطبته بابن العم على عادة العرب من تخاطب الأقرباء من جهة الأبوة بابن العم، حيث يجتمع أصولهما في (قصي) فإنها من بني أسد بن عبد العزى بن قصي، وكانت خديجة قد ذكرت ما سمعت من غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل - من المنتبعين للكتب والأخبار- فكان يقول لها: يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كان لهذه الأمة نبي ينتظر، هذا زمانه.

وكانت خديجة مرغوبا فيها لشرف نسبها ورفعة قدرها بين قومها، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم الأمر على أعمامه فوافقوه على زواجه صلى الله عليه وسلم بها وتوجهوا معه إليها، وأتموا عقد الزواج بينهما ، وتولاه عنها عمها (عمر بن أسد)، كما تولاه عن النبي صلى الله عليه وسلم عمه (أبو طالب) ، وكان صداقها عشرين بكرة (الأنثى الفتية من الإبل)، وكان سن السيدة خديجة أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفيت رضى الله عنها، وكانت متزوجة قبله صلى الله عليه وسلم بـرجل اسمه (هند)، ولدت منه ولدا اسمه (هالة)، فكان ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد مكث صلى الله عليه وسلم بعد زواجه بالسيدة خديجة يشتغل بالتجارة والتنسك (التزهد والتعب)، حتى بعثه الله رحمة للعالمين.

شهوده صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة

الكعبة هي أول بيت وضع في الأرض للعبادة، وقد بناها سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل، عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ثم جدد بناؤها من بعده ثلاث مرات، وكان بناؤها من الصخر وارتفاعها فوق القامة.

ويقال أن أول من بناها سيدنا آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام، وقد وصلوا في نقض أنقاضها إلى أساس سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ويقال أنهم وجدوا هناك صحافا منقوشا فيها كثير من الحكم تذكرة للمتأخرين، وقد تحرى أشراف قريش أن تكون نفقة بنائها من طيب أموالهم؛ فكانوا لا يدخلون في نفقتها مهر بغي ولا مال ربا، ولما ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامها على قواعد سيدنا إبراهيم عليه السلام أخرجوا منها الحجر (حجر إسماعيل)، وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على أنه منها. وعندما بلغ سن النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة، اتفق أن نزل سيل عظيم بمكة أثر في جدران الكعبة فأوهنها -على ما كانت عليه من الضعف بسبب حريق أصابها من قبل، فاجتمعت قبائل قريش وشرعوا في هدمها وبنائها بناء مرتفعا، وكان الأشراف منهم يتسابقون في نقل الحجارة وحملها على أعناقهم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحمل الحجارة وينقلها إلى مكان البناء، مع عمه العباس رضى الله عنه.

بنيت الكعبة حينئذ بارتفاع ثماني عشر ذراعا (الذراع مقياس: حوالي ٦٤ سنتيمترا)، بحيث يزيد عن أصله تسعة أذرع، وقد رفع الباب بحيث لا يصعد إليه إلا بدرج (سلم). ولما تم بناء الكعبة وأرادت قريش وضع الحجر الأسود في موضعه، اختلف أشرافهم فيمن يضعه، وظلوا مختلفين أربعة أيام، فأشار عليهم أبو أمية الوليد بن المغيرة - وهو أكبرهم سنا - بأن يحكموا بينهم من يرضون بحكمه، فاتفقوا على أن يكون الحكم لأول قادم من باب الصفا. فكان أول داخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتاحوا جميعا لما يعهدونه من أمانته وحكمته وصدقه وإخلاصه للحق، وقالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما وصل إليهم وأخبروه الخبر بسط رداءه، وتناول الحجر فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بطرف من الرداء ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا حتى وصلوا به إلى موضعه؛ فوضعه فيه بيده صلى الله عليه وسلم، وبذلك انتهت هذه المشكلة التي كادت تؤدي إلى الحرب والقتال فيما بينهم.

أسئلة للمراجعة

- (١) اذكر نسب النبي ﷺ حتى عدنان - وعرف بنسب أمه.
- (٢) فيمن يلتقي نسب أمه وأبيه ﷺ؟
- (٣) من هو قريش الذي تنسب إليه القبيلة؟
- (٤) من أب النبي ﷺ؟ ومتى وأين توفي؟ وماذا ترك لأهله من مال؟
- (٥) في أي عام ولد النبي ﷺ؟ وأي حادثة اشتهر بها ذلك العام؟
- (٦) أين ولد ﷺ؟
- (٧) هل كان اسم "محمد" شائعاً بين العرب؟ ولأي حكمة هدى الله جده عبد المطلب لتسميته بذلك؟
- (٨) من أول من أرضع النبي ﷺ بعد أمه؟ ثم من؟
- (٩) أي بركة حلت بمرضعته وأهلها في البداية؟ في أي قوم كانوا وأين كانت منازلهم؟
- (١٠) صف حادث شق صدره الشريف في طفولته.
- (١١) متى عاد ﷺ من البداية؟ ولم أعيد من هناك مع ما حل بهم بسببه من بركة؟
- (١٢) متى وأين ماتت أمه (صلى الله عليه وسلم)؟ من حاضنته؟
- (١٣) متى توفي جده ﷺ؟ وإلى من عهد إليه برعايته من بعده؟
- (١٤) متى سافر أول مرة إلى الشام؟ ماذا كان من شأنه هناك؟
- (١٥) ماذا تعرف عن حرب الفجار؟
- (١٦) متى عقد حلف الفضول، وما موضوعه؟
- (١٧) متى كانت رحلته الثانية إلى الشام؟ وماذا كان من شأنه فيها؟
- (١٨) لم سعت خديجة بنت خويلد للزواج منه ﷺ؟ أ.... ب....
- (١٩) من تولى عقد الزواج من كل منهما؟
- (٢٠) لم خاطبته خديجة بآبن العم؟
- (٢١) من كان ربيب النبي ﷺ، إثر زواجه من خديجة؟
- (٢٢) من يعتقد أنه أول من بني الكعبة؟ أ.... ب....
- (٢٣) كم مرة جدد بناؤها بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام؟
- (٢٤) لم جددت قريش بناء الكعبة؟ وكم كان سنه ﷺ وقتها؟
- (٢٥) فيم اختلفت قريش عند إعادة البناء؟ وكيف حسم ﷺ هذا الخلاف؟

درس ٤٢ حياته ﷺ إلى بداية الوحي

سيرته ﷺ في قومه قبل النبوة - عيشته قبل النبوة - تعبدته قبل البعثة - بدء الوحي -
فترة الوحي وعودته - كيفية الوحي

سيرته صلى الله عليه وسلم في قومه قبل النبوة

قد علمت أن الله تعالى قد أكرم آل حليلة السعدية التي أرضعته صلى الله عليه وسلم، فبدل عسرهم يسرا وأشيع غنيماتهم وأدر ضروعها في سنة الجذب والشدة، كما بارك سبحانه وتعالى في رزق عمه أبي طالب حينما كان في كفالته، مع ضيق ذات يده، وأنه سبحانه وتعالى كان يسخر له الغمامة تظله وحده من حر الشمس في سفره إلى الشام، فتسير معه أنى سار دون غيره من أفراد القافلة.

وكان سبحانه وتعالى يلهمه الحق ويرشده إلى المكارم والفضائل في أموره كلها، حتى إنه كان إذا خرج لقضاء الحاجة في صغره بعد عن الناس حتى لا يرى.
وكان سبحانه وتعالى يكرمه بتسليم الأحجار والأشجار عليه، ويسمعه ذلك فيلنفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا.

وقد كان علماء اليهود والنصارى - رهبانهم وكهنتهم - يعرفون زمن مجيئه صلى الله عليه وسلم مما جاء من أوصافه في التوراة وما أخبر به المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فكانوا يسألون عن مولده وظهوره وقد عرفه كثيرون منهم لما رأوا ذاته الشريفة أو سمعوا بأوصافه وأحواله صلى الله عليه وسلم.

وقد نشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ممتازا بكمال الأخلاق، متباعدا في صغره عن السفاسف التي يشتغل بها أمثاله في السن عادة، حتى بلغ مبلغ الرجال فكان أرجح الناس عقلا، وأصحهم رأيا، وأعظمهم مروءة، وأصدقهم حديثا، وأكبرهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، وقد لقبه قومه (بالأمين)، وكانوا يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم. وقد حفظه الله تعالى منذ نشأته من قبيح أحوال الجاهلية، وبغض إليه أوثانهم حتى إنه من صغره كان لا يحلف بها ولا يحترمها ولا يحضر لها عيدا أو احتفالا، وكان لا يأكل ما ذبح على النصب، و النصب هي حجارة كانوا ينصبونها ويصبون عليها دم الذبائح ويعبدونها.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم لين الجانب يحن إلى المسكين، ولا يحقر فقيرا لفقره، ولا يهاب ملكا لملكه، ولم يكن يشرب الخمر مع شيوع ذلك في قومه، ولا يزنى

ولا يسرق ولا يقتل، بل كان ملتزماً لمكارم الأخلاق التي أساسها الصدق والأمانة والوفاء.

وبالجملة حفظه الله تعالى من النقائص والأدناس قبل النبوة كما عصمه منها بعد النبوة.

وكان يلبس العمامة والقميص والسراويل، ويتزرر (الإزار الذي يكسو النصف الأسفل من البدن) ويرتدى بأكيسة من القطن، وربما لبس الصوف والكتان، ولبس الخف والنعال وربما مشى بدونها. وركب الخيل والبغال والإبل والحمير. وكان ينام على الفراش تارة وعلى الحصير تارة وعلى السرير تارة وعلى الأرض تارة، ويجلس على الأرض، ويخصف نعله، (أي يخيطنها ويصلحها) ويرقع ثوبه، وقد اتخذ من الغنم والرقيق من الإماء والعبيد بقدر الحاجة. وكان من هديه في الطعام ألا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً.

عيشته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم كان جده هاشم كبير قريش وسيدها، وكانت قريش أشرف قبائل العرب، وكانت إقامتهم بمكة وضواحيها، وكانت معيشتهم من التجارة في الثياب والبز (متاع البيت من جنس الثياب) وما يحتاجه العرب، وكان لهم رحلتان تجاريتان إلى الشام واليمن إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء، وكان أكثر ما يقتنون من النعم الإبل والغنم للانتفاع بظهورها وألبانها وأصوافها وأوبارها. فلما بلغ سنا يمكنه فيه أن يعمل عملاً كان ينفق على نفسه من عمل يده، وقد كانت فاتحة عمله رعاية الغنم، كما هي سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفياه؛ لتدريبهم على رعاية الخلق بالرفق الذي تستدعيه هذه الرعاية، فكان ينفق من أجره رعايته، ثم كان يتجر فيما كانت تتجر فيه قريش وينفق من كسب تجارته. وفي كل ذلك كان يعمل على قدر الحاجة، لا مستكثراً من الدنيا ولا تاركاً لها تركاً كلياً، ليهيئه الله تعالى لما أراد سبحانه منه من التفرغ للدعوة إلى دينه القويم.

تعبده صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

كان من العرب قبل الإسلام من ينتمي إلى دين اليهودية، ومنهم من يدين بالنصرانية. على ما فيهما من تغيير وتحريف، والباقون عبدة أصنام وأوثان، وكان على ذلك عامة قريش إلا نفرًا قليلاً منهم كانوا يعيبون على قومهم عبادة هذه التماثيل.

وقد فطر سيدنا محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه وسلامه- على طهارة القلب وزكاء النفس. فطره الله تعالى على ذلك ليكون على تمام الصلاحية لتلقى شريعته المطهرة وإيصالها إلى الخلق على أتم وجه وأكملة.

فلذلك كانت نفسه الكريمة مجبولة على ما هو الحق، لا تعرف غيره، ولا تقبل سواه، فكان يأنف عن الباطل بطبعه ويألف الحق بسجيته، فلم يحكم عليه شيء من عادات قومه: لا في تحسين باطل ممقوت، ولا في تقييح حق مقبول.

ولقد كانت تلك فطرة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي فطر عليها قبل نبوته؛ كما كان ذلك شأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: يفترون على الإقبال على الله تعالى، وتتصرف همهم وأنفسهم الزكية قبل نبوتهم عما يكون عليه أقوامهم من باطل العفاند وفساد العادات والتعبادات.

نشأ صلى الله عليه وسلم مقبلا على الله تعالى بقلبه، خالصا لله تعالى، حنيفا لم يحم الشرك حول قلبه الكريم، فكان بأصل فطرته مبغضا لهذه الأوثان، نافرا من هذه المعبودات الباطلة، فلم يكن يحضر لها عيدا ولا يتقرب إليها ولا يحفل بها، وإنما كان يعبد خالق الكون وحده، مقبلا عليه سبحانه بما هو مظهر العبودية والإخلاص من تفكير وتمجيد.

وكان يطوف بالكعبة ويحج كما كان الناس يحجون اتباعا لملة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. ولم يثبت من طريق صحيح التزامه التعبد على شريعة أحد من الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين.

والذي ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حراء من كل سنة شهرا (وكان يوافق ذلك شهر رمضان)، يعبد الله تعالى بالتفكر، ويطعم المساكين مما كان يتزود به في مدة خلوته (وروي أنه كان يتزود الكعك والزيت، وكان كلما فرغ زاده رجع إلى أهله فتزود وعاد)، وكان إذا انتهى من خلوته ينصرف إلى الكعبة فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك قبل أن يرجع إلى بيته.

ويسمى حراء: جبل النور، وهو على يسار السالك إلى عرفة، وبه ذلك الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ضيق المدخل، ومساحته من الداخل تقرب من ثلاثة أمتار، وبه نزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم لأول مرة كما سيجيء، ويقال أن جده عبد المطلب كان يتعبد في حراء، ثم تبعه في ذلك من كان يتعبد منهم كورقة بن نوفل وأبي أمية بن عبد العزى.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب العزلة والخلوة من زمن طفولته إلى أن بعثه الله تعالى رحمة للعالمين.

وقبيل مبعثه كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، أي واضحة وصريحة كوضوح ضوء الصباح وإنارته، أي أنها تتحقق في اليقظة مثل ما يراها في المنام، فكان ذلك مقدمة لنبوته صلى الله عليه وسلم.

بدء الوحي

لما كمل سنه صلى الله عليه وسلم أربعين سنة- وهو سن الكمال، أكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة رحمة للعالمين.

فبينما هو صلى الله عليه وسلم في خلوته بغار حراء، وكان ذلك في شهر رمضان على أصح الروايات، إذ جاءه جبريل الأمين عليه السلام بأمر الله تعالى، ليبلغه رسالة ربه عز وجل،^(١) وقد تمثل جبريل عليه السلام في هذه المرة بصورة رجل. فقال له: اقرأ، فقال له عليه الصلاة والسلام: ما أنا بقارئ (لأنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لم يتعلم القراءة)، فغطه جبريل عليه السلام في فراشه غطا شديدا (أي ضمه وعصره بشدة)، ثم أرسله فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فغطه ثانية ثم أرسله وقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، ثم غطه الثالثة وأرسله فقال له: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم». فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف عنه جبريل عليه السلام وهو يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله يرجف فؤاده مما أدركه من الروع لشدة مقابلة الملك فجأة وشدة الغط التي اقتضاها الحال.

ولما رجع عليه الصلاة والسلام إلى أهله، ودخل على زوجته خديجة رضى الله عنها قال: زملوني زملوني (أي اطرحوا علي الغطاء ولفوني به - ليذهب عنه الروع)، فلما ذهب عنه الروع أخبر خديجة رضى الله عنها بما كان، فقالت له: أبشر يا ابن عم واثبت، فإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم ذهبت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان شيخا كبيرا يعرف الإنجيل وأخبار الرسل، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، أي أن هذا الملك الذي جاءك هو الناموس؛ أي صاحب سر الوحي الذي نزله الله تعالى على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف من الكتب القديمة وأخبارها أن جبريل هو رسول الله إلى أنبيائه.

ثم تمنى ورقة أن لو كان شابا يقدر على نصره النبي صلى الله عليه وسلم عند ظهوره بأمر الرسالة ومعاداة قومه له؛ لأنه يعرف من أخبار الرسل أن قومهم يعادونهم في مبدأ أمرهم، ثم توفي ورقة بعد ذلك بزمن قريب.

فترة الوحي وعودته

بعد هذه الحادثة فتر الوحي وانقطع مدة لا تقل عن أربعين يوماً، اشتد فيها شوق النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوحي وشق عليه تأخره عنه، وخاف من انقطاع هذه النعمة الكبرى: نعمة رسالته عليه الصلاة والسلام بين الله عز وجل وبين عباده ليهديهم إلى صراطه المستقيم.

فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يمشى في أبنية مكة إذ سمع صوتاً من السماء، فرجع بصره فإذا الملك الذي جاءه بغار حراء وهو جبريل عليه السلام، فعاد إليه الرعب الذي لحقه في بدء الوحي فرجع إلى أهله وقال: دثروني دثروني (التدثير بمعنى: التزميل السابق بيانه).

فأوحى الله تعالى إليه:

﴿يا أيها المدثر* قم فأنذر* وربك فكبر* وثيابك فطهر* والرجز فاهجر* ولا تمنن تستكثر* ولربك فاصبر﴾

فأنذر: حذر الناس من عذاب الله إذا لم يفرّدوه بالعبادة. **فكبر:** أي عظم ربك وخصه بالتعظيم والإجلال. **فطهر:** أي حافظ على الطهارة والنظافة من الأقدار والأنجاس. **والرجز فاهجر:** أي اترك المآثم والذنوب. **ولا تمنن تستكثر:** أي لا تتبع عطاياك وهباتك بالطمع في أخذ الزيادة ممن تعطيه. **ولربك فاصبر:** أي اصبر على ما يلحقك من الأذى في سبيل الدعوة إلى الإسلام ابتغاء وجه ربك.

فكان ذلك مبدأ الأمر له صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام وبعد ذلك تتابع الوحي ولم ينقطع.

كيفية الوحي

للوحي طرق متنوعة وقد عرفت أن من مبادئ الرؤيا الصادقة، فرؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي من قبيل الوحي.

ومن طرق الوحي أن يأتي الملك إلى النبي متمثلاً بصورة رجل، فيخاطب النبي حتى يأخذ عنه ما يقوله له ويوحى به إليه، وفي هذه الحالة لا مانع من أن يراه الناس أيضاً، كما حصل في كثير من أحوال الوحي لنبيينا عليه الصلاة والسلام.

ومن طرق الوحي أيضاً أن يأتي الملك في صورته الأصلية التي خلقه الله تعالى عليها، ويراه النبي كذلك فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، ولم يحصل هذا لنبيينا عليه الصلاة والسلام إلا قليلاً.

ومن طرق الوحي أيضا أن يلقي الملك في روع (أي ذهن) النبي وقلبه ما يوحي به الله إليه، من غير أن يرى له صورة، وقد حصلت هذه الكيفية أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم.

وأحيانا كان يأتي الملك مخاطبا للنبي بصوت وكلام مثل صلصلة الجرس (أي صوته)، وهذه الحالة من أشد أحوال الوحي على النبي، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي بهذه الكيفية يعرق حتى يسيل العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد، وإذا أتاه وهو راكب تبرك به ناقته.

وقد يكون الوحي بكلام الله تعالى للنبي بدون واسطة الملك، بل من وراء حجاب، كما حصل ليلة الإسراء لنبينا صلى الله عليه وسلم.

أسئلة للمراجعة

- (١) كيف كان خلقه ﷺ قبل البعثة؟
- (٢) مم كان يتعيش ﷺ؟ أ.... ب....
- (٣) ماذا كان موقفه ﷺ من الأوثان؟
- (٤) كيف كان يتعبد قبل البعثة؟
- (٥) ماذا تعرف عن غار حراء؟
- (٦) من علامات النبوة قبل مبعثه أنه....
- (٧) متى بدأ نزول الوحي عليه ﷺ؟
- (٨) اسرد ما كان في أول لقاء له مع جبريل بالوحي؟
- (٩) ماذا كان موقف خديجة منه إثر ذلك؟
- (١٠) بم علق ورقة بن نوفل على نزول الوحي؟
- (١١) كم طال انقطاع الوحي بعد نزوله أول مرة؟
- (١٢) بأي آيات عاد جبريل عليه السلام بعد فتور الوحي؟
- (١٣) لخص ما جاء في ما أوحى إليه ﷺ من هذه الآيات؟
- (١٤) اذكر ستة طرق لنزول الوحي على نبينا ﷺ؟

درس ٤٣ بداية الدعوة

الدعوة إلى الإسلام سرا - الباعث على الإسرار بالدعوة - أول من أسلم - مبدأ الجهر بالدعوة - تدمير قريش من تسفيهم وعيب ألتههم

الدعوة إلى الإسلام سرا

على إثر عودة الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد فترته، قام عليه الصلاة والسلام بأمر الدعوة إلى ما أمره الله تعالى به من إرشاد الثقلين: الإنس والجن جميعاً إلى توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون سواه من الأصنام والمخلوقات، وأرشد الله تعالى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن يبدأ بالدعوة سرا؛ فكان يدعو إلى الإسلام من يطمئن إليه ويثق به من أهله وعشيرته الأقربين ومن يليهم من قومه، واستمر على ذلك ثلاث سنين مثابراً على الدعوة إلى الله تعالى خفية، حتى آمن به أفراد قلائل كانوا يقيمون صلاتهم ويؤدون ما أمروا به من شعائر الدين، مستخفين عن سواهم لا يظهرون بذلك في مجامع قريش؛ بل كان الواحد منهم يخفي بعبادته عن أهله وولده.

ولما بلغ عددهم نحو الثلاثين، وكان من اللازم اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم لإرشادهم وتعليمهم، اختار لهم عليه الصلاة والسلام داراً فسيحة لأحدهم، وهي دار الأرقم بن الأرقم، فكانوا يجتمعون فيها، واستمروا على ذلك يزيد عددهم قليلاً قليلاً حتى أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة.

الباعث على الإسرار بالدعوة

في أول ما نزل الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- في أواخر شهر رمضان من السنة المتممة للأربعين من عمره الشريف بغار حراء الذي كان يتعبد فيه- لم يؤمر آنذاك بتبليغ الرسالة للناس، بل كان الأمر في ذلك قاصراً على إبلاغه رسالة ربه إليه، وتمجيده جل وعلا بما جاء في سورة (اقرأ باسم ربك)، وبعد أن فتر الوحي مدة عاد بأمر الله تعالى له بأن يقوم بتبليغ رسالة ربه.

ولما كان أهل مكة الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما جفاة متخلفين بأخلاق تغلب عليها العزة والأنفة، وفيهم سدنة الكعبة، أي خدمها وهم القابضون على مفاتيحها، والقوام على الأوثان والأصنام، التي كانت مقدسة عند سائر العرب: يعبدونها ويتقربون إليها بالذبائح والهدايا، ولا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ينفادون إليه بسهولة، كان من حكمة الله تعالى تلقاء ذلك أن تكون الدعوة إلى دين الإسلام في مبدأ أمرها سرية؛ لئلا يفاجئوا بما يهيجهم وينفرون منه ويكون سببا لشن الغارات والحروب وإهراق الدماء.

والداعي صلوات الله عليه وسلامه لم يكن له إذ ذاك ناصر ولا معين من خلق الله. ومن سنة الله تعالى في خلقه ربط الأسباب بالمسببات، فلم يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة من قبل أن يهيئ له أسباب النصر والفوز على من يقاومه في ذلك، خصوصا أن قومه الذين بعث فيما بينهم كانوا أشد الناس تمسكا بمعبوداتهم وحرصا على ما كان عليه أبائهم.

ومن المعلوم أن من الناس من هو عظيم في قومه رفيع الدرجة فيما بينهم، ومنهم من هو دون ذلك، فالعظماء من الناس تمنعهم أنفتهم من إجابة الداعي لهم إلى مفارقة ما عليه جماعتهم، ونبذ ما بينهم من الروابط القومية والعادات المتأصلة، إذ كل فرد منهم يرى أن انفراده بالرضوخ للغير ينقصه في نظر قومه. فإذا فوجئ هؤلاء الأعاظم بإعلان الدعوة إلى غير ما كانوا عليه؛ ظهروا بمظهر المنكر المعاند وقاوموا الدعوة بجملتهم. وغير الأعاظم هم تبع العظماء والرؤساء؛ فإذا دعوا إلى مخالفة ما عليه أولئك العظماء جهارا لم يجسروا على إجابة الداعي متى لم يسبقهم إلى ذلك أفراد من العظماء.

فإعلان الدعوة يحتاج إلى مقدمة يستأنس بها الفريقان، وما ذلك إلا باجتذاب أفراد من هؤلاء وهؤلاء خفية؛ حتى إذا تكونت منهم جماعة وأعلنت بهم الدعوة؛ سهل على غيرهم أن ينبذوا تقاليد قومهم، ويتبعوا ما يدعوهم إليه الداعي مما تنشر له صدورهم ولا تأباه فطرتهم.

أول من أسلم

كان أول من سطع عليه نور الإسلام من مبدأ الدعوة إليه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأسبغية إسلام السيدة خديجة على الجميع تكاد تكون بالاتفاق، والمشهور أن سيدنا أبا بكر الصديق أسبق الرجال إسلاما، وأن علي بن أبي طالب أول الصبيان إسلاما، وأن زيد بن حارثة أول الموالى إسلاما.

ثم أسلم ابن عمه علي بن أبي طالب وعمره إذ ذاك عشر سنين؛ وكان مقيما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا حضرت الصلاة خرج به النبي صلى الله

عليه وسلم إلى شعاب مكة متخفيين فيصليان ويعودان كذلك، وقد اطلع عليهما أبو طالب وهما يصليان مرة، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به. قال: أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم؛ بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني وأعانني عليه. فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إنني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي. ولكنه مع ذلك أقر ولده عليا على اتباع هذا الدين ووعده النبي صلى الله عليه وسلم بأن ينصره ويدفع عنه سوء. وقد أسلم بعد ذلك زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي تبناه بعد أن اعتقه وزوجه أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم، وقد كانت من السابقين إلى الإسلام.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يعرف صدقه، فعندما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق، وقال: بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر. وكان رضي الله عنه عظيما في قومه يتقون برأيه، فدعا إلى الإسلام من توسم فيهم الإجابة، فأجابه عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ابن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأتى بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا. ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد العدوي (من بني عدي)، وأبو سلمة المخزومي (من بني مخزوم)، وخالد بن سعيد بن العاص، وعثمان بن مظعون وأخوه قدامة وعبيد الله، والأرقم بن الأرقم. وكل هؤلاء من بطون قريش.

ومن غيرهم صهيب الرومي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري (من قبيلة غفار)، وعبد الله بن مسعود وغيرهم.

وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنين، أسلم فيها جماعة لهم شأن في قريش وتبعهم غيرهم، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس، فجاء وقت الجهر بالدعوة.

مبدأ الجهر بالدعوة

بعد أن مضى على الإسرار بالدعوة ثلاث سنين كثر دخول الناس في دين الإسلام من أشرف القوم ومواليهم: رجالهم ونسائهم، وفشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس، فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة وأنزل عليه:

﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ فبادر بامتهال أمر ربه؛ وأعلن لقومه الدعوة إلى دين الله تعالى؛ وصعد على الصفا ونادى بطون قريش.

فلما اجتمعوا قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي. قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا، فقال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقام أبو لهب من بينهم وقال: تبا لك ألهذا جمعتنا، فأنزل الله تعالى في شأنه: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب* ما أغنى عنه ماله وما كسب* سيصلى نارا ذات لهب* وامراته حمالة الحطب* في جيدها حبل من مسد﴾، وقد كانت امرأة أبي لهب تمشي بالنميمة في نوادي النساء وتتقول الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشعل بذلك نار الفتنة، ثم أنزل الله تعالى عليه: ﴿وأنذر عشيرتک الأقربين﴾، فجمع من بني عبد مناف نحو الأربعين وقال لهم: ما أعلم إنسانا جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به؛ قد جئتم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة. والله لثموتن كما تنامون؛ ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا. إنها لجنة أبدا أو لنار أبدا. فتكلم القوم كلاما ليئا، وقام أبو لهب وقال: شد ما سحركم صاحبكم، خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب. فمانعه في ذلك أبو طالب وتفرق الجمع.

تذمر قريش من تسفيهم وعيب آلهتهم

لما استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعلان الدعوة إلى الله وتوحيده لم يجد من قومه في مبدأ الأمر مقاومة ولا أذى، غير أنهم كانوا ينكرون عليه فيما بينهم فيقولون إذا مر عليهم: "هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء، هذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء". ولا يزيدون على ذلك، وأبو كبشة كنية لزوج حليلة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكما أن المرضعة بمنزلة الأم كذلك صاحب اللبن بمنزلة الأب. وكانوا يريدون بذلك تنقيص النبي صلى الله عليه وسلم عنادا واستكبارا.

ولكن لما استتبع إعلان الدعوة عيب معبوداتهم الباطلة، وتسفيه عقول من يعبدونها، نفروا منه وأظهروا له العداوة غيرة على تلك الآلهة التي يعبدونها كما كان يعبدها أبواهم، فذهب جماعة منهم إلى عمه أبي طالب وطلبوا أن يمنعه عن عيب آلهتهم وتضليل آبائهم وتسفيه عقولهم أو يتنازل عن حمايته، فردهم أبو طالب ردا جميلا.

واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر الله تعالى، وينشر دعوته، ويحذر الناس من عبادة الأوثان، ولما لم يطبقوا الصبر على هذا الحال عادوا إلى أبي طالب

وقالوا له: إنا قد طلبنا منك أن تنتهي ابن أخيك فلم ينته عنا، وإنا لا نصبر على هذا الحال من تسفيه عقولنا وعيب آلهتنا وتضليل آبائنا، فإما أن تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فعظم الأمر على أبي طالب، ولم ترق لديه عداوة قومه ولا خذلان ابن أخيه، وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه. فقال أبو طالب: اذهب فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

ثم رأى أبو طالب أن يجمع بني هاشم وبني المطلب ليكونوا معه على حماية ابن أخيه؛ فأجابوه لذلك إلا أبا لهب فإنه فارقهم وانضم إلى بقية كفار قريش.

ولما رأت قريش تصميم أبي طالب على نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق بني هاشم وبني المطلب معه في ذلك؛ وكان وقت الحج قد قرب وخافوا من تأثير دعوته في أنفس العرب الوافدين لزيارة الكعبة فترداد قوته وتنتشر دعوته؛ اجتمعوا وتداولوا فيما يصنعون في مقاومة ذلك، فقال قائل منهم: نقول كاهن، فقيل: ما هو بكاهن وما هو بحالة الكهان، فقيل: نقول مجنون، فقيل: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما حالته كحالة المجانين، فقيل: نقول هو شاعر، فقيل: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر بأنواعه فما هو بالشعر، فقيل: نقول ساحر، فقيل: لقد رأينا السحرة فما حالته كحالتهم.

ثم اتفقوا على أن يذيعوا بين الوافدين إلى مكة من العرب أنه ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه؛ وبين المرء وأخيه؛ وبين المرء وزوجه؛ وبين المرء وعشيرته، وصاروا يجلسون بالطرق حين جاء موسم الحج، فلا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره.

ولقد كان ذلك سببا في شيوع دعوته صلى الله عليه وسلم وذكر اسمه في بلاد العرب كلها.

أسئلة للمراجعة

- (١) كيف بدأت الدعوة في سنواتها الثلاث الأولى؟
- (٢) أين كان النبي ﷺ يدعو ويعلم في بداية الدعوة؟
- (٣) ما الباعث على سرية الدعوة في البداية؟
- (٤) من أول الرجال إسلاماً؟ وأول النساء؟ وأول الصبيان؟ وأول الموالى؟
- (٥) اذكر عشرة من أوائل من أسلموا؟ من كان له دور بارز في دعوة هؤلاء؟
- (٦) ماذا كان موقف أبي طالب عندما علم بالدعوة أول مرة؟
- (٧) متى بدأ الجهر بالدعوة؟ وكيف كان الأمر بذلك؟
- (٨) كيف جهر ﷺ بالدعوة أول مرة؟
- (٩) ماذا كان من شأنه مع عشيرته الأقربين؟
- (١٠) كيف بدأت قريش في التعرض للرسول ﷺ؟
- (١١) ماذا كان من شأن قريش مع أبي طالب، وماذا كان رد النبي ﷺ على هذه المحاولات؟
- (١٢) كيف سعت قريش إلى صد قبائل العرب عن الدعوة؟ وماذا أثمرت هذه المساعي؟

درس ٤٤ ما لقيه المسلمون من أذى

تعرض قريش لرسول الله ﷺ بالأذى - فيما عرضته قريش عليه ليرجع عن الدعوة -
إيذاء قريش للمؤمنين - الهجرة إلى الحبشة - نقض الصحيفة

تعرض قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذى

ولما رأت قريش أنهم لم يفلحوا في إرجاع أبي طالب عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمائته، وأن قد انضم إليه في ذلك غيره، وأن دعوة رسول الله في انتشار، وأن المؤمنين به في ازدياد، لجأوا إلى طريقة الأذى فأغروا سفهاءهم أن يتظاهروا بالاستهزاء برسول الله وإيذائه؛ خصوصا إذا ذهب إلى الصلاة عند الكعبة؛ وقد أراد أبو جهل أن يرض رأسه عليه الصلاة والسلام وهو ساجد (أي يدق رأسه ليكسره). ولكن الله تعالى حفظه منه، فإنه لما قرب منه خانته قواه، وسقط من يده الحجر الذي أعده لذلك، ورجع إلى قومه مذعورا منتقع اللون (أي متغير اللون) وهو يقول: إنه قد تعرض لي فحل ما رأيت مثله قط، هم بي ليأكلني.

وأغرى عقبة بن أبي معيط أن يتربص بسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلقى عليه فرث جزور (ما في كرش الجزور - البعير - بعد ذبحها) ففعل، ولم يقدر أحد من المسلمين الحاضرين على إزالته، حتى أتت ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها فألقته عنه.

وكان ذلك الفاجر أبو جهل ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته عند البيت، فقال له مرة حين رآه يصلى: ألم أنك عن هذا، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا شديدا وهدده، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا، والنادي هو مجتمع الناس، يريد أبو جهل أن القوم يجتمعون بمجلسه بكثرة لعظم منزلته، فأنزل الله تعالى: (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية* ناصية كاذبة خاطئة* فليدع ناديه* سندع الزبانية* كلا لا تطعه واسجد واقترب).

وبينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى في حجر الكعبة، إذ جاء الفاجر عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر الصديق ودفعه عنه وقال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم).

وجاء رجل إلى مجمع قريش يشكو مطل أبي جهل، أي تسويفه، في دين له عليه، فقالوا للرجل: ينصفك محمد، يقصدون بذلك الإيقاع بين رسول الله وأبي جهل، فتوجه ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن ينصفه من أبي جهل، فقام معه إلى دار أبي جهل حتى ضرب على بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فخرج منتقعا لونه، فقال له صلى الله عليه وسلم: أعط هذا حقه، فقال أبو جهل: لا تبرح حتى تأخذه. فأعطاه إياه من ساعته، فعجبت قريش من ذلك، حيث انعكس عليهم قصدهم، ورأوا ما لم يكن في حساباتهم من انهزام صاحبهم، فقال لهم: والله لقد سمعت حين ضرب على بابي صوتا ملئت منه رعبا ورأيت فوق رأسي فحلا من الإبل ما رأيت مثله.

وكان أبو لهب وهو عمه عليه الصلاة والسلام أشد عليه من الأباعد، وكان جارا له، فكان يرمي هو وزوجته القدر على بابه.

وكان من المؤذنين العاص بن وائل السهمي (من بني سهم) والد عمرو بن العاص، والأسود بن عبد يغوث الزهري، من بني زهرة أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأسود بن المطلب الأسدي (من بني أسد) ابن عم السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، والوليد بن المغيرة عم أبي جهل، والنضر بن الحارث العبدري (من بني عبد الدار)، ولم يسلم من هؤلاء أحد، بل أهلكهم الله تعالى على الكفر، ما بين قتيل في غزوة بدر ومعذب بأشد الأمراض وأشنعها، والله عزيز ذو انتقام.

وقد أسلم في ذلك الوقت حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما عبرته بعض الجوارى ببيضاء أبي جهل لابن أخيه، فأدرسته الحمية وتوجه إلى ذك الفاجر وغاضبه وقال: كيف تسب محمدا وأنا على دينه، فأنا الله بصيرة حمزة، ودخل في دين الإسلام، وقد كان من أقوى المسلمين شكيمة على أعداء الدين حتى لقب (أسد الله).

فيما عرضته قريش عليه صلى الله عليه وسلم ليرجع عن الدعوة

لما رأى كفار قريش أن طريق الأذى الذي لجأوا إليه لم يجدهم نفعا فيما يريدون؛ اجتمعوا للشورى فيما يعملون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لإرجاعه عن أمره، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة العيشمي (من بني عبد شمس)، وكان من عظمائهم، ليعرض عليه أمورا لعله يقبلها ويرجع عن هذه الدعوة، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى في المسجد وقال له: يا ابن أخي إنك من خيارنا حسبا

ونسبا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم ومن مضى من آبائهم، فإن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا (أي مسا) من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

فلما فرغ من كلامه قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم سورة فصلت، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم مثل صاعقة عاد وثمود﴾. فأمسك عتبة بفيه، واستحلفه أن يكف عن ذلك، فلما رجع عتبة إلى قومه قال لهم: يا معشر قريش لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر، فأطيعوني وامتنعوا عن الرجل، فوالله ليكون لكلامه الذي سمعت شأن، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فعزه عزمكم، فقالوا: لقد سحرك محمد.

ولما لم تنفعهم هذه الحيلة عمدوا إلى حيلة أخرى، فعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركوه في عبادته، فأنزل الله تعالى عليه سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، فلما ينسوا من ذلك طلبوا منه أن ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الأوثان والوعيد الشديد، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾.

ولما رأوا أن كل ذلك لم ينفعهم شيئا لجأوا إلى طرق التعجيز فقالوا له: إن كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك، وهي أن ينشق القمر فرقتين. فلما أراهم الله تعالى ذلك تعنتوا واستمروا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة تعنت وعناد مثل قولهم: ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً* أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً* أو تسقط السماء علينا كسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾. كسفاً: قطعاً. قبيلاً: أي كفيلاً بما تقول وشاهداً على صحته. وكان يجيبهم عن ذلك بما يأمره الله تعالى به مثل قوله تعالى: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾.

ولما عجزوا عن مقاومته بهذه الوسائل عادوا إلى استعمال الشدة والأذى مع رسول الله والمؤمنين، ولم يتركوا لذلك باباً إلا ولجوه.

إيذاء قريش للمؤمنين

كما أودى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الجهر بالدعوة إلى الإسلام أودى أصحابه؛ فإن كل قبيلة كانت تسيئ إلى من أسلم منها وهم يتحملون تلك الإساءات بالصبر الجميل، فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتوا على يقينهم حتى أتم الله تعالى أمره. فمن الذين أودوا في الله بلال بن رباح، كان مملوكا أمية بن خلف الجمحي (من بني جمح)، فكان يجعل في عنقه حبلا ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به، وكان أمية يخرج به في شدة الحر ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، وقد اشتراه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه ابتغاء وجه ربه. ومنهم عامر بن فهيرة كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول، وكان مملوكا لصفوان بن أمية وقد اشتراه الصديق رضي الله عنه وأعتقه. ومنهم امرأة تسمى زنيرة عذبت حتى عميت فلم يزدها ذلك إلا إيمانا رضي الله عنها.

ومنهم عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه؛ كانوا يعذبون بالنار، وقد مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وهم يعذبون، فقال: صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة. وقد مات أبو عمار وأمه تحت العذاب رضي الله عنهما، وأما عمار فنطق بكلمة الكفر ظاهرا فأطلق، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. وبالجملة لم يخل أحد من المسلمين الأولين من أذية لحقته في الله تعالى ولكن كل ذلك لم يصددهم عن دينهم بل زادهم إيمانا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من الأذى؛ وهم غير قادرين على منعه لقلّة عددهم وعدم استعدادهم إزاء ذلك؛ أشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه، فهاجر إليها منهم عشرة رجال وخمس نسوة في مقدمتهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكثوا هناك ثلاثة أشهر رجعوا بعدها إلى مكة ولم يتمكنوا من دخولها إلا في حماية من أجارهم من عظماء القوم.

وفي ذلك الوقت أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمره حين إسلامه ستا أو سبعا وعشرين سنة، ولما أسلم قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم. لما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف دية مضاعفة ليسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبل ذلك بنو عبد مناف، فعرضت قريش على أبي طالب أن يعطوه فتى من فتيانهم ويسلم إليهم ابن أخيه فردهم وقال لهم: عجا لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلوناه.

ثم لما انسدت في وجوه كفار قريش أبواب الحيل، ولم يفلحوا فيما استعملوه من طرق الأذى مع رسول الله والمؤمنين، اتفقوا على مقاطعة بني عبد مناف وإخراجهم

من مكة والتصديق عليهم، فلا يعاملونهم ببيع ولا شراء حتى يسلموا إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم بذلك فالتجأ بنو عبد مناف: مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب ودخلوا معه في شعبه، فحاصروهم فيه كفار قريش مدة تقرب من ثلاث سنين؛ حتى نفذ ما عندهم من الزاد واضطروا لأكل أوراق الأشجار.

الهجرة إلى الحبشة

وبعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب أشار على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فهاجر إليها منهم ثلاثة وثمانون رجلا، ومعهم من نسائهم سبع عشرة امرأة ومن أخذوا من أولادهم، وكانوا جميعا من بطون قريش، وقد مكثوا في هذه الهجرة إلى ما بعد خروج بني عبد مناف ورسول الله صلى الله عليه وسلم من حصار الشعب.

ولما وصلوا إلى الحبشة وكان ملكها عادلا أكرمهم وأمنهم على عبادتهم ومكنهم من إعلانها، فلما علمت قريش بذلك أرسلت إلى نجاشي الحبشة وفدا يحمل إليه وإلى بطارفته الهدايا ليرد هؤلاء المهاجرين ويمنعهم من الإقامة في أرضه، فلم يرض النجاشي بذلك بل استحضر المهاجرين إليه وسألهم عما هم عليه من الدين، فكلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبان له ما كانت عليه حالتهم قبل الإسلام وما جاءهم به الإسلام من ترك عبادة الأوثان وإفراد الله تعالى بالعبادة، وما أرشدهم إليه من مكارم الأخلاق، وقرأ عليه جعفر أول سورة مريم المشتملة على قصة مولد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فقال النجاشي: إن هذا مثل الذي جاء به المسيح، ثم سألهم عما يقولونه عليهم وفد قريش في حق المسيح، فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا؛ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فقال النجاشي: إن عيسى ابن مريم لا يزيد على ذلك، ثم قال للمهاجرين: اذهبوا فأنتم آمنون، ورد على وفد قريش هداياهم، فرجعوا إلى قومهم خائبين.

وقد رغب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة إلى الحبشة لشدة ما لقيه من أذى قومه، فلقبه ابن الدغنة فقال له: مثلك يا أبا بكر لا يخرج وأنا لك جار، فعدل وطاف ابن الدغنة في قريش وهو يقول: أبو بكر لا يخرج مثله، أخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فقبلت قريش جوار ابن الدغنة لأنه كان عظيما في قومه. ومكث أبو بكر يعبد ربه في داره، ثم ابتنى له بها مسجدا كان يصلى فيه ويقرأ فيه القرآن فيتطلع إليه أبناء قريش ونسأؤهم يعجبون منه، فأفزع ذلك كفار قريش، وطلبوا من ابن الدغنة أن يتنازل عن حمايته إن لم يرجع عما هو فيه، فطلب ابن الدغنة من أبي بكر أن لا يعلن عبادته، فقال له الصديق رضي الله عنه: إنني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى. واستمر

رضي الله عنه على إعلان عبادته، متحملا ما يلحقه من أذى كفار قريش صابرا، محتسبا أجره على الله تعالى، والله مع الصابرين.

نقض الصحيفة

ولما اشتد الحصار على بني عبد مناف تأثر لذلك جماعة من أعاضم قريش، فقاموا بنصرتهم وتوجهوا إلى الكعبة ونقضوا تلك الصحيفة، أي أزالوها ومزقوها بعد أن رأوها متأكلة كما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بأن الأرضة قد أكلتها ولم يبق منها إلا اسم الله تعالى. فتمكنوا بعد ذلك من مبارحة الشعب ، ومكث النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى دين الله، والمسلمون كل يوم في ازدياد من قريش ومن غيرهم، ولا يتمكن أعداؤهم من الاعتداء عليهم، حتى كانت السنة العاشرة من النبوة توفي فيها عمه أبو طالب الذي كان عضده ونصيره، فعاد كفار قريش إلى الأذى، حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وطلب من أشرف هذه الجهة تعضيده بعد أن دعاهم إلى دين الله تعالى، فلم يقبلوا ولم يسلموا بل أغروا سفهاءهم يسبونهم ، فعاد إلى مكة وطلب من المطعم بن عدي أن ينصره فأجابته لذلك، وذهب صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة في جوار المطعم، فطاف وصلى ثم انصرف إلى منزله يحفظه الله تعالى من أذى الأعداء.

أسئلة للمراجعة

- ١) اذكر ستة من وقائع إيذاء قريش لنبيينا ﷺ؟
- ٢) اذكر موقفين لأبي جهل في هذا الصدد؟
- ٣) اذكر موقفين لعقبة بن أبي معيط في هذا الصدد؟
- ٤) ماذا كان من شأن أبي جهل عندما ذهب إليه النبي ﷺ مطالباً بحق غريب بني زهرة؟
- ٥) كيف كانت عاقبة من شاركوا في وقائع إيذاء النبي المذكورة؟
- ٦) كيف أسلم حمزة بن عبد المطلب؟
- ٧) ماذا عرضت قريش على النبي ﷺ وكيف كان رده على أول محاولة؟
- ٨) ماذا عرضوا عليه بعد ذلك، وما كان موقفه؟
- ٩) ماذا طلبوا منه تعجيزاً له - في ظنهم؟
- ١٠) اذكر بعضاً من وقائع إيذاء المؤمنين؟
- ١١) من الذين بشرهم النبي ﷺ بقوله: " فمعدكم الجنة"؟
- ١٢) بم أشار النبي ﷺ على أصحابه المستضعفين فراراً من التعذيب؟
- ١٣) ماذا عرضت قريش على بني عبد مناف قبل اللجوء إلى الحصار؟
- ١٤) اذكر بنود صحيفة المقاطعة؟
- ١٥) كم كان أول فوج من المهاجرين إلى الحبشة؟ على رأسهم من؟
- ١٦) كم كان عدد المهاجرين إلى الحبشة إثر حصار الشعب؟
- ١٧) اسرد قصة أبي بكر الصديق بشأن جوار ابن الدغنة؟
- ١٨) كيف تم نقض صحيفة المقاطعة؟
- ١٩) متى عادت قريش إلى مواصلة إيذاء النبي ﷺ؟
- ٢٠) إلى من هاجر النبي سعيًا للنصرة حينئذ؟ وما كان موقفهم منه؟

درس ٤٥ من وفاة السيدة خديجة إلى الإسراء والمعراج

وفاة السيدة خديجة، وبيان أولاده منها وبقية أزواجه - عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل وبيعة العقبة الأولى - بيعة العقبة الثانية وهجرة بعض المسلمين إلى المدينة - الإسراء والمعراج

وفاة السيدة خديجة، وبيان أولاده صلى الله عليه وسلم منها وبقية أزواجه

في الشهر الذي توفي فيه أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم توفيت أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بثلاث سنين وقد حزن عليها حزنا شديدا لأنها كانت من أكبر أعوانه وأرق الناس له ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفاه الله تعالى إلى رحمته، وكان كثيرا ما يذكرها بعد وفاتها ويترحم عليها.

وقد جاء منها بأولاده كلهم (ما عدا إبراهيم)، فأولهم القاسم، وقد توفي وهو صغير، وقيل أنه عاش حتى ركب الدواب. وبه كان يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتليه زينب، التي تزوجت قبل البعثة بالعاص بن الربيع، وأعقب منها أمامة التي تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

ثم رقية، التي تزوجها سيدنا عثمان بن عفان قبل هجرته إلى الحبشة وهاجر بها، ثم تزوج بعد وفاتها بأختها السيدة أم كلثوم بالمدينة.

ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وقد تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب وولدت منه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهما.

ثم عبد الله (الملقب بالطيب وبالطاهر)، وقد توفي صغيرا وكانت ولادته بعد البعثة.

ولم يعيش بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من أولاده إلا السيدة فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

وبعد وفاة السيدة خديجة بأيام تزوج صلى الله عليه وسلم بالسيدة سودة بنت زمعة العامرية القرشية، وقد كانت من السابقين إلى الإيمان وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة

في المرة الثانية ، وعقب رجوعه منها توفي عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي التي وهبت يومها لعائشة .

ثم تزوج بالسيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وهي بكر صغيرة بين السادسة والسابعة من عمرها ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين ، وكانت أحب نسائه إليه ، وكانت أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق ، وكان أكابر الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها ، وما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في فراش امرأة غيرها .

ثم تزوج بالسيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب ، ثم تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية وتوفيت بعد بئانه بها بشهرين ، ثم تزوج بالسيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية .

ثم تزوج بالسيدة زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة ، وهي ابنة عمته أميمة .

ثم تزوج بالسيدة جويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، وكانت من سبايا بني المصطلق فتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها ليقتدي به المسلمون ، فأعتقوا من كان بأيديهم من نساء بني المصطلق إكراما لمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، فأسلم بنو المصطلق جميعا فكانت جويرية أيمن امرأة على قومها .

ثم تزوج بالسيدة أم حبيبة ، وتسمى هند أو رملة ، بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي ، ثم تزوج بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير ، ثم بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بهن ، وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت عمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وهي خالة عبد الله بن عباس ، وقد تزوجها بمكة في عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة ولم يدخل بها إلا بعد أن تحلل من عمرته ..

وقد توفي صلى الله عليه وسلم عن تسع من نسائه : عائشة و حفصة و زينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية (وأول من توفي بعده منهن زينب بنت جحش وآخرهن أم سلمة) .

وقد تسرى صلى الله عليه وسلم بأربع إماء : منهن مارية القبطية وهي أم ولده (إبراهيم) الذي توفي طفلا قبل الفطام ، وكانت وفاته في السنة العاشرة من الهجرة . وكان أعمامه صلى الله عليه وسلم أحد عشر ، لم يسلم منهم سوى سيدنا حمزة وسيدنا العباس وهو أصغرهم ، ولم يكن منهم شقيق لوالد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أبي طالب والزبير .

وعماته ست ، لم يسلم منهن سوى السيدة صفية والدة سيدنا الزبير بن العوام . وكان له صلى الله عليه وسلم موال كثيرون ذكور وإناث ، أعتق أكثرهم ، منهم : زيد بن حارثة أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت سيدنا أسامة بن زيد .

وقد تشرف بخدمته صلى الله عليه وسلم كثيرون، منهم أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وأبو ذر الغفاري.
وكان من كتابه صلى الله عليه وسلم ساداتنا: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، والزبير ابن العوام، وعمرو بن العاص، وكثير غيرهم كانوا يكتبون الوحي والعهود وكتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء.

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل وبيعة العقبة الأولى

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كفار قريش لا ينفكون عن مقاومته ومعارضته في تأدية رسالة ربه، ألهمه الله تعالى أن يعرض نفسه على غيرهم من كبار العرب؛ عسى أن يجد منهم حماية وعضدا يعينه على تأدية الرسالة وتبليغ الدعوة، فكان صلى الله عليه وسلم يخرج في مواسم العرب وأسواقهم التي كانوا يقصدونها للتجارة والمفاخرة - وخصوصا مواسم الحج - داعيا لهم إلى الله تعالى، قارئا عليهم القرآن الكريم، طالبا منهم نصره حتى يؤدي رسالة ربه، فلم يكونوا يجيبونه، إلى أن قدم وفد من يثرب (المدينة المنورة، واسمها أيضا طيبة) من قبيلة (الأوس) يريدون أن يعقدوا حلفا مع قريش لينصروهم على بني عمهم (الخزرج)، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدمهم قابلهم وقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. وتلا عليهم شيئا من القرآن، وذكر لهم أمور الإسلام، فمال بعضهم إلى قبول الإسلام وأبى الآخرون، فانصرف الجميع إلى المدينة دون أن يسلموا.

ثم وفد في موسم الحج جماعة من الخزرج، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام وإلى معاونته في تبليغ رسالة ربه، وكانوا ستة رجال فأسلموا جميعا، ووعده المقاتلة في الموسم المقبل، وهم أول من أسلم من عرب المدينة، وهم أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله.

فلما كان العام المقبل قدم خمسة منهم في اثنتي عشر رجلا من الخزرج واثنا من الأوس، واجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة، وأسلم باقيهم، وبايعوا كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصونه في معروف، وأرسل معهم من يقرؤهم القرآن ويفقههم في الدين. وبذلك انتشر الإسلام في

دور المدينة، وصار حديث القوم في مجتمعاتهم ونواديبهم، وقد سميت هذه البيعة (بيعة العقبة الأولى).

بيعة العقبة الثانية وهجرة بعض المسلمين إلى المدينة

في موسم الحج في العام الذي يلي بيعة العقبة الأولى؛ وفد إلى مكة كثيرون من أهل المدينة، فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعدهم المقابلة ليلا عند العقبة، وأمرهم أن يكتموا أمرهم فلا يطلع على ذلك أحد من كفار قريش، فتوجهوا إلى مواعدهم في منتصف الليل كاتميين أمرهم عمن معهم من المشركين (وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس، وكان باقيا على دين قومه، وإنما أحضره معه ليتوثق له)، فلما اجتمعوا قال لهم العباس: إن ابن أخي هذا لم يزل في منعة من قومه، فإن كنتم ترون أنكم قوامون له بما دعوتموه إليه من البيعة، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا فدضعوه بين عشيرته، فقال كبيرهم: إنما نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله. وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم شروط البيعة، فقال: أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشرکوا به شيئا، ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم. فبايعوه على ذلك، وكانوا ثلاثا وسبعين رجلا، منهم اثنان وستون من الخزرج، وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان وسميت هذه البيعة (بيعة العقبة الثانية).

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثني عشر نقيبا: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهؤلاء النقباء: أنتم كفلاء على قومكم؛ كل على عشيرته، فلما رجعوا إلى المدينة ظهر الإسلام بها أكثر من المرة الأولى.

وقد شعرت قريش بهذه البيعة فازداد أذاهم للمسلمين الموجودين بمكة، فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالهجرة إلى المدينة، فصاروا يتسللون إليها وحدانا وجماعات، مختلفين عن أعين قريش، حتى إنه لم يبق بمكة إلا أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وقليلون ممن لم يقدرُوا على الهجرة، وقد أراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة فأشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالانتظار حتى يأذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالهجرة، فانتظر أبو بكر رضي الله عنه، وأعد لذلك راكبتين كانتا عنده: إحداهما له والأخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإسراء والمعراج

قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة بقليل؛ أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج.

أما الإسراء فهو توجهه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس (بالشام)، ليريه الله سبحانه وتعالى من عجائب آياته ما يناسب قدره العظيم.

فقد ركب صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى البراق، وهو دابة ليست كدوابنا هذه، وإنما هي شيء سخره الله تعالى لرسوله إكراما وتعظيما، يضع ذلك البراق حافره عند منتهى طرفه، فسار به من المسجد الحرام بمكة حتى وصل إلى بيت المقدس في ليلته، فدخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إماما.

وأما المعراج فهو بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس ركب البراق وصعد به إلى السماوات، فكان كلما وصل إلى سماء يستفتح جبريل فيقال: من أنت؟ ومن معك؟ فيقول: جبريل ومحمد، فيقال: أو قد بعث إليه؟ فيقول: نعم، فيفتح لهما مع الترحيب والدعاء بالخير، حتى انتهيا من السماء السابعة، وبعدها توجه صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى، وهناك شاهد ما لا تدرى العقول البشرية حقيقته، وأوحى الله تعالى إلى نبيه ما أوحى، وفرض سبحانه عليه وعلى أمته في ذلك الوقت خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ونزل صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى السماء السادسة، ولقي فيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فأخبره بما فرض الله عليه وعلى أمته، فأشار عليه أن يرجع فيسأل ربه التخفيف، فإن أمته لا تطيق ذلك.

فلم يزل يرجع بين ربه عز وجل وبين موسى عليه السلام حتى جعل الله تعالى الصلوات المفروضة خمسا في الفعل وخمسين في الأجر.

ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى مكة من ليلته، فلما أصبح ذهب إلى نادى قريش فأخبر القوم بما رآه، فكذب من كذب وارتد بعض ضعاف القلوب عن الإسلام، ثم امتحنوه بوصف بيت المقدس فوصفه كما هو، ثم سألوه عن غير (قافلة تجارة) لهم في الطريق فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ووقت قدومها، فكان كما قال، ومع ذلك لم تردعهم تلك الأدلة الظاهرة عن عنادهم وكفرهم؛ إلا من وفقه الله تعالى وثبته على دين الإسلام. وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأراه كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها، وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين صباحا وركعتين مساء كصلاة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أسئلة للمراجعة

- (١) متى توفي عمه أبو طالب؟ ومتى توفيت خديجة رضي الله عنها؟
- (٢) اذكر أولاد النبي (صلى الله عليه وسلم) وبناته؟
- (٣) ممن أنجب النبي (صلى الله عليه وسلم) أولاده وبناته؟
- (٤) من تشرف بالزواج من كل من بنات النبي ﷺ الأربعة؟
- (٥) كم عاشت خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ قبل وفاتها؟
وكم كان سنه حينئذ، قبل زواجه من غيرها؟
- (٦) اذكر زوجاته ﷺ بعد ذلك؟ وماذا تعرف عن كل منهن؟
- (٧) من أول من توفي من زوجاته بعد وفاته؟ ومن آخرهن؟
- (٨) من أسلم من أعمامه ﷺ؟ وعماته؟
- (٩) من تشرف بخدمة الرسول ﷺ؟
- (١٠) من كانوا كتابه ﷺ؟
- (١١) من أول من قبل عرض النبي (صلى الله عليه وسلم) للإسلام
من قبائل العرب؟
- (١٢) متى كانت بيعة العقبة الأولى؟ وعلام كانت البيعة؟
- (١٣) من هم المشاركون في بيعة العقبة الأولى؟
- (١٤) كم كان المشاركون في عقبة البيعة الثانية؟
- (١٥) علام كانت بيعة العقبة الثانية؟
- (١٦) من هم النقباء؟ ولم اختارهم النبي ﷺ؟
- (١٧) لم كانت البيعة فاتحة للهجرة إلى المدينة المنورة؟
- (١٨) كيف كان الإسراء؟
- (١٩) كيف كان المعراج؟ وماذا تم فيه؟
- (٢٠) ماذا كان موقف قريش من الإسراء والمعراج؟
- (٢١) متى فرضت الصلوات الخمس؟ وكيف فرضت؟

درس ٤٦ الهجرة إلى المدينة

هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق - قدومه ﷺ إلى المدينة

هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لما علم كفار قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت له شيعة وأنصار من غيرهم، ورأوا مهاجرة أصحابه إلى أولئك الأنصار الذين بايعوه على المدافعة عنه حتى الموت، اجتمع رؤسائهم وكبارهم في دار الندوة، وهي دار بناها قصي بن كلاب، كانوا يجتمعون فيها عند ما ينزل بهم حادث مهم، اجتمعوا ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فقال قائل منهم: نحسبه مكبلا بالحديد حتى يموت، وقال آخر: نخرجه وننفيه من بلادنا، فقال أحد كبارهم: ما هذا ولا ذاك برأي؛ لأنه إن حبس ظهر خبره فيأتي أصحابه وينتزعونه من بين أيديكم، وإن نفي لم تأمنوا أن يتغلب على من يحل بحبهم من العرب؛ بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يتبعوه فيسير بهم إليكم، فقال الطاغية أبو جهل: الرأي أن نختار من كل قبيلة فتى جلدًا ثم يضربه أولئك الفتيان ضربة رجل واحد؛ فيتفرق دمه في القبائل جميعا؛ فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب جميع القبائل. فأعجبهم هذا الرأي واتفقوا جميعا وعينوا الفتيان واللييلة التي أرادوا تنفيذ هذا الأمر في سحرها، فأعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بما أجمع عليه أعداؤه، وأذنه سبحانه وتعالى بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة)، فذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخبره وأذن له أن يصحبه، واتفقا على إعداد الراحلتين اللتين هياهما أبو بكر الصديق لذلك، واختارا دليلا يسلك بهما أقرب الطرق، وتواعدا على أن يبتدئا السير في اللييلة التي اتفقت قريش عليها.

وفي تلك اللييلة أمر عليه الصلاة والسلام ابن عمه علي بن أبي طالب أن ينام في مكانه ويتغطى بغطائه حتى لا يشعر أحد بمبارحته بيته. ثم خرج صلى الله عليه وسلم، وفتيان قريش متجهرون على باب بيته وهو يتلو سورة (يس)، فلم يكذبهم إليهم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَأَعْشِينَاهُمْ فَمَنْ لَا يَبْصُرُونَ﴾، فجعل يكررها حتى ألقى الله تعالى عليهم النوم وعميت أبصارهم فلم يبصروه ولم يشعروا به، وتوجه إلى دار أبي

بكر وخرجا معا من خوخة (باب صغير) في ظهر البيت، وتوجها إلى جبل ثور بأسفل مكة فدخلوا في غاره.

وأصبحت فتيان قريش تنتظر خروجه صلى الله عليه وسلم، فلما تبين لقريش أن فتيانهم إنما باتوا يحرسون علي بن أبي طالب لا محمدا صلى الله عليه وسلم هاجت عواطفهم، وارتبكوا في أمرهم، ثم أرسلوا رسلهم في طلبه والبحث عنه من جميع الجهات، وجعلوا لمن يأتيهم به مائة ناقة، فذهبت رسلهم تقتفي أثره، وقد وصل بعضهم إلى ذلك الغار الصغير الذي لو التفت فيه قليلا لرأى من فيه.

فحزن أبو بكر الصديق رضي الله عنه لظنه أنهم قد أدركوهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تحزن إن الله معنا»**، فصرف الله تعالى أبصار هؤلاء القوم وبصائرهم حتى لم يلتفت إلى داخل ذلك الغار أحد منهم، بل جزم طاغيتهم أمية بن خلف بأنه لا يمكن اختفاؤهما به لما رأوه من نسج العنكبوت وتعشيش الحمام على بابه. وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال حتى ينقطع طلب القوم عنهما، وكان يببب عندهما عبد الله بن أبي بكر، ثم يصبح في القوم ويستمع منهم الأخبار عن رسول الله وصاحبه فيأتيهما كل ليلة بما سمع، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام في كل ليلة من هذه الليالي، وقد أمر عبد الله بن أبي بكر غلامه بأن يرعى الغنم ويأتي بها إلى ذلك الغار ليختفي أثره وأثر أسماء.

وفي صبيحة الليلة الثالثة من مبيت رسول الله عليه وسلم وصاحبه بالغار، وهي صبيحة يوم الاثنين في الأسبوع الأول من ربيع الأول سنة الهجرة (وهي سنة ثلاث وخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم، وسنة ثلاث عشرة من البعثة المحمدية) جاءهما بالراحتين عامر بن فهيرة مولى أبي بكر؛ وعبد الله بن أريقط (أو أرقط) الذي استأجراه ليدلها على الطريق، فركبا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ليخدمهما، وسلك بهما الدليل أسفل مكة، ثم مضى بهما في طريق الساحل.

وبينما هم في الطريق إذ لحقهم سراقه بن مالك المدلجي (من بني مدلج)؛ لأنه سمع في أحد مجالس قريش قائلا يقول: **«إني رأيت أسودة (أي جماعة) بالساحل أظنها محمدا وأصحابه. فلما قرب منهم عثرت فرسه حتى سقط عنها، ثم ركبها وسار حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، فساخت قوائم فرس سراقه في الأرض فسقط عنها، ولم تنهض إلا بعد أن استغاث صاحبها بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد شاهد غبارا يتصاعد كالدخان من آثار خروج قوائم فرسه من الأرض، فدخله رعب شديد ونادى بطلب الأمان، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه حتى جاءهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يقبلا منه شيئا؛ وإنما قالوا له: اكنم عنا، فسألهم كتاب أمن؛ فكتب له أبو بكر ما طلب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاد سراقه من حيث أتى كاتما ما رأى، وقد أخبر أبا جهل فيما بعد، وقد أسلم سراقه يوم فتح مكة وحسن إسلامه.**

واستمر رسول الله وصاحبه في طريقهما حتى وصلا قباء، من ضواحي المدينة، في يوم الاثنين من ربيع الأول، فنزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني عمرو بن عوف ونزل أبو بكر رضي الله عنه بالسبخ (محلة بالمدينة أيضا) على خارجة بن زيد، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ليالي؛ أنشأ فيها مسجدا، هو الموصوف في القرآن الكريم بأنه أسس على التقوى من أول يوم، وصلى فيه عليه الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار، وقد أدركه صلى الله عليه وسلم بقباء علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن أقام بمكة بعده بضعة أيام ليؤدي ما كان عنده من الودائع إلى أربابها.

قدومه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

وقد كان أهل المدينة، حينما سمعوا بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، يخرجون خارج المدينة يترقبون مقدمه كل يوم حتى يردهم حر الظهيرة، فبعد أن رجعوا إلى منازلهم يوما سمعوا من ينادي بأعلى صوته: يا معشر العرب؛ هذا حطكم الذي تنتظرون، فخرجوا وتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة (هي الأرض ذات الحجارة السوداء) قبل نزوله بقباء.

ثم تحول عليه الصلاة والسلام من قباء إلى المدينة، يحيط به الأنصار فرحين متقلدي سيفهم ما بين ماش وراكب، يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن ينزل في داره والنساء والصبيان والولائد ينشدن:

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع

وكان ذلك في يوم الجمعة، فأدركته صلاتها في ديار بني سالم بن عوف، فنزل وصلاها، وهي أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث شرعت في هذا التاريخ على أشهر الروايات. ثم ركب وسار، وكلما مر على دار من دور الأنصار يتضرع إليه أهلها أن ينزل عليهم، ويأخذون بزمام ناقته، فيقول: دعوا فإنها مأمورة. ولم تنزل سائرة حتى أتت فناء بني عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم، فبركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فقال عليه الصلاة والسلام: ههنا المنزل إن شاء الله تعالى، ونزل بدار أبي أيوب.

وأقام بها أشهراً حتى اشترى الموضع الذي بركت فيه الناقة، وبني فيه المسجد، وقد بني المسجد باللين (الطوب النيء) مرتفعا عن القامة قليلا، وجعلت عضادات الباب من الحجارة، وسقف بالجريد، وجعلت عدمه من جذوع النخل، وكان يعمل فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه تشجيعاً للعاملين. وبني بجواره حجرتان لزوجتيه عائشة وسودة، ولم يكن له من الزوجات إذ ذاك غيرهما، وصارت الحجرات تبني حول المسجد كلما جاءت زوجة، وأرسل من استحضر له أهله؛ كما أرسل أبو بكر رضي الله عنه من استحضر أهله، فقدمت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة وأم كلثوم بنتاه، أما زينب ابنته صلى الله عليه وسلم فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع، وقدم عبد الله بن أبي بكر بزوجة أبيه وأختيه: عائشة، وأسماء زوج الزبير بن العوام، وكانت حاملاً بابنها عبد الله، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة. وتلاحق المهاجرون فلم يبق من المسلمين إلا قليل ممن لم يتيسر لهم الرحيل. ولما تمت الهجرة إلى المدينة تنافس الأنصار في المهاجرين؛ كل يريد أن يكون له منهم الحظ الأوفر، فكانوا يقتربون عليهم في النزول، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوى الإخاء بينهم؛ فأخى بين كل أنصاري ونزيلة من المهاجرين، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم، وذلك أعلى درجة تقتضيها الأخوة في الله تعالى.

أسئلة للمراجعة

- (١) علام تأمرت قريش لمواجهة بيعة الأنصار؟
- (٢) كيف استعد النبي ﷺ للهجرة؟
- (٣) متى أذن الله لرسوله بالهجرة؟
- (٤) صف خروجه ﷺ من داره في غفلة من المشركين؟
- (٥) لخص خط سيره ﷺ في رحلة الهجرة.
- (٦) لخص ظروف بقاءه ﷺ في الغار قبل مواصلة الهجرة.
- (٧) ماذا كان شأن سراقبة بن مالك في تعقبه للنبي ﷺ؟
- (٨) متى وصل ﷺ قباء؟ وماذا كان شأنه هنالك؟
- (٩) كيف استقبل الأنصار الرسول ﷺ عند مقدمه المدينة المنورة؟
- (١٠) أين صلى ﷺ أول جمعة يوم وصوله المدينة؟
- (١١) "دعوها فإنها مأمورة": ما المشار إليها؟ وأين استقرت؟
- (١٢) أين نزل رسول الله ﷺ لدى قدومه المدينة؟
- (١٣) أين بني المسجد النبوي؟
- (١٤) ماذا كان من شأن الأنصار مع المهاجرين في بداية الهجرة؟
- (١٥) من لحق بالنبي ﷺ من أهله في بداية الهجرة؟ ومن بقي بمكة؟
- (١٦) كيف كان موقف الرسول ﷺ من اليهود بعد وصوله المدينة؟ ومن المنافقين؟
- (١٧) علام تأمرت قريش لمواجهة بيعة الأنصار؟
- (١٨) كيف استعد النبي ﷺ للهجرة؟
- (١٩) متى أذن الله لرسوله بالهجرة؟
- (٢٠) صف خروجه ﷺ من داره في غفلة من المشركين؟
- (٢١) لخص خط سيره ﷺ في رحلة الهجرة.
- (٢٢) لخص ظروف بقاءه ﷺ في الغار قبل مواصلة الهجرة.
- (٢٣) ماذا كان شأن سراقبة بن مالك في تعقبه للنبي ﷺ؟
- (٢٤) متى وصل ﷺ قباء؟ وماذا كان شأنه هنالك؟
- (٢٥) كيف استقبل الأنصار الرسول ﷺ عند مقدمه المدينة المنورة؟
- (٢٦) أين صلى ﷺ أول جمعة يوم وصوله المدينة؟
- (٢٧) "دعوها فإنها مأمورة": ما المشار إليها؟ وأين استقرت؟
- (٢٨) أين نزل رسول الله ﷺ لدى قدومه المدينة؟
- (٢٩) أين بني المسجد النبوي؟
- (٣٠) ماذا كان من شأن الأنصار مع المهاجرين في بداية الهجرة؟
- (٣١) من لحق بالنبي ﷺ من أهله في بداية الهجرة؟ ومن بقي بمكة؟
- (٣٢) كيف كان موقف الرسول ﷺ من اليهود بالمدينة؟ ومن المنافقين؟

درس ٤٧ بداية الغزوات إلى غزوة بدر

الغزوات: أسبابها ومشروعيتها - الغزوات والسرايا إجمالاً - غزوة بدر الكبرى

الغزوات - أسبابها ومشروعيتها

بعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكان بها اليهود من بني قينقاع وقريظة والنضير، أقرهم عليه الصلاة والسلام على دينهم وأموالهم، واشترط لهم وعليهم شروطاً، وكانوا مع ذلك يظهرن العداوة والبغضاء للمسلمين، ويساعدن جماعة من عرب المدينة كانوا يظهرن الإسلام وهم في الباطن كفار؛ وكانوا يعرفون بالمنافقين، يرأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وقد قبل صلى الله عليه وسلم من هاتين الفئتين (اليهود والمنافقين) ظواهرهم، فلم يحاربهم ولم يحاربوه بل كان يقاوم الإنكار بالحجج الدامغة والحكم البالغة.

فلم يكن صلى الله عليه وسلم يقاتل أحداً على الدخول في دين الله، بل كان يدعو إليه ويجاهد في سبيله بإقامة ساطع الحجج وقاطع البراهين.

ولكن لما كانت قريش أمة معادية له، مقاومة لدعوته، معارضة له فيها، وقد آذته وآذت المسلمين وأخرجتهم من ديارهم، واستولت على ما تركوه بمكة من الأموال، وآذت المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة مع رسول الله وأصحابه، أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقتال كل معتد وصاد عن الدعوة.

فأول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك مصادرة تجارة قريش التي كانوا يذهبون بها إلى الشام والتي يجلبونها منه.

وكان بعد ذلك - عندما تدعو الحال لقتال من يقف في وجه الدعوة من قريش أو غيرهم - يخرج إلى القتال بنفسه ومعه المقاتلون من المسلمين، وتارة يبعث مع المقاتلين من يختاره لقيادتهم، وقد سمي المؤرخون ما خرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه (غزوة) سواء حارب فيها أم لم يحارب، وسموا ما بعث فيها أحد القواد (سرية).

الغزوات والسرايا إجمالاً

في السنة الأولى من الهجرة بعث سريتين.

وفي السنة الثانية غزا بنفسه سبع غزوات وبعث سرية واحدة، وأكبر غزواتها غزوة بدر:

- غزوة (ودان) وهي قرية بين مكة والمدينة، وكان خروجه لها ليعترض عيرا لقريش فوجدها قد سبقته فرجع.
- وغزوة (بواط) وهو جبل جهينة بين المدينة وينبع، وكان خروجه فيها ليعترض عير قريش فوجدها قد سبقته فرجع.
- وغزوة (العشيرة) وهي موضع من بطن ينبع وسنأتي على ذكرها في الأصل عند الكلام على غزوة بدر الكبرى.
- وغزوة (بدر الأولى). (بدر) موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب في الجنوب الغربي منها، خرج فيها لتعقب من أغار على سرح (أي ماشية) المدينة فلم يجده.
- وغزوة (بدر الكبرى) وسنشرحها في الأصل.
- وغزوة بني (قينقاع) وهم حي من اليهود حول المدينة نبذوا عهد المسلمين وخانهم، فخرج إليهم وحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى طلبوا منه أن يخرجوا من ديارهم بالنساء والأولاد ويتركوا للمسلمين الأموال، فقبل منهم ذلك وأجلهم.
- وغزوة (السويق) التي خرج فيها أبو سفيان في مائتين إلى المدينة وأحرق بعض نخلها، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ففروا تاركين ما كانوا يحملون من أجربة (جمع جراب) السويق (ولذلك سميت غزوة السويق، والسويق: طعام من مدقوق القمح والشعير).

وفي السنة الثالثة غزا أربع غزوات وبعث سرية واحدة، وأهم غزواتها غزوة (أحد):

- غزوة (غطفان) وهم حي من قيس بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تجمعهم للإغارة على المدينة، فخرج إليهم فنشئتوا في رؤوس الجبال.
- وغزوة (بحران) وهو موضع بجهة الفرع من المدينة به قبيلة بني سليم، أرادوا الإغارة على المدينة فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فنفروا.
- وغزوة (أحد) وسنشرحها في الأصل.
- وغزوة (حمرأ الأسد) وقد ذكرت بالأصل.

وفي السنة الرابعة غزا ثلاث غزوات وبعث ثلاث سرايات:

- غزوة (بني النضير) وسنأتي على ذكرها في الأصل.
- وغزوة (ذات الرقاع): اسم لصخور فيها بقع حمر وبيض وسود في جبل بجهة نجد؛ بلغه عليه الصلاة والسلام أن قبائل من نجد يتهيئون لحربه، فخرج إليهم في سبعمئة مقاتل فلم يجدوا غير النسوة فأخذوهن وعادوا، أما رجالهم فإنهم تفرقوا في رؤوس الجبال.
- وغزوة (بدر الآخرة) وسيأتي الكلام عليها في آخر غزوة أحد.

وفي السنة الخامسة غزا أربع غزوات أشهرها غزوة الخندق:

- غزوة (دومة الجندل) وهي جهة بين المدينة المنورة ودمشق، على بعد خمس ليال من دمشق وخمس عشرة ليلة من المدينة، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا من الأعراب يعتدون على من يمر بهم وأنهم يريدون القرب من المدينة، فخرج إليهم في ألف من أصحابه، فلما علموا بقربه منهم تفرقوا وغنم المسلمون مواشيهم.
- وغزوة (بني المصطلق) وهم حي من خزاعة ساعدوا قريشا على حرب المسلمين في غزوة أحد ثم تجمعوا لحرب المسلمين، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في جمع كثير فالتقى الجمعان بجهة (المريسيع) وهو ماء لقبيلة خزاعة؛ فانهزم المشركون بين قتيل وأسير، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت زعيمهم الحارث وأعتق سائر نساءهم، وفي أثناء رجوع المسلمين من هذه الغزوة حصلت حادثة الإفك المشهورة.
- وغزوة (الخندق) وغزوة (بني قريظة) وسيأتي الكلام عليهما في الأصل.

وفي السنة السادسة غزا ثلاث غزوات وبعث إحدى عشرة سرية، ومن غزواتها

غزوة الحديبية:

- غزوة (بني لحيان).
- وغزوة (الغابة).
- وغزوة (الحديبية).

وفي السنة السابعة غزا غزوة واحدة وهي غزوة (خيبر) وبعث ثلاث سرايا.

وفي السنة الثامنة غزا أربع غزوات، وبعث عشر سرايا، وأكبر غزواتها

غزوة فتح مكة المكرمة وغزوة حنين:

- غزوة (مؤتة).
- وغزوة (الفتح).

- وغزوة (حنين).
- وغزوة (الطائف)، وسيأتي الكلام على جميعها في الأصل.

وفي السنة التاسعة غزا غزوة واحدة وهي غزوة تبوك، وبعث سرية واحدة.

وفي السنة العاشرة بعث سريتين، وفيها حج حجة الوداع.

وفي السنة الحادية عشر بعث سرية واحدة.

فجملة الغزوات التي خرج للقتال فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم: سبع وعشرون غزوة، وجملة السرايا التي بعث فيها القواد ولم يخرج فيها بنفسه: خمس وثلاثون سرية. ولنتكلم على المهم من تلك الغزوات باختصار.

غزوة بدر الكبرى

كان من عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتشتري، فتمر في ذهابها وإيابها بطريق المدينة. ففي شهر جمادى الثانية من السنة الثانية للهجرة بعثت قريش بأعظم تجارة لها إلى الشام في عير كبيرة (وهم يسمون الركب الخارج بالتجارة عيرا) خرج بها أبو سفيان بن حرب في بضعة وثلاثين رجلا من قريش، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم في مائة وخمسين رجلا من المهاجرين فلم يدركهم، وتسمى هذه غزوة (العشيرة)، باسم واد من ناحية بدر.

ولما علم برجعهم من الشام خرج إليهم في العشر الأوائل من شهر رمضان في ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، معهم فرسان وسبعون بعيرا، وسار حتى عسكر بالروحاء، وهو موضع على بعد أربعين ميلا في جنوب المدينة.

وكان أبو سفيان حين قرب من الحجاز يسير محترسا، فلما علم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الطريق المسلوكه وسار بساحل البحر، ثم بعث رجلا إلى مكة ليخبر قريشا ويستنفرهم لحفظ أموالهم، فقام منهم تسعمائة وخمسون رجلا فيهم مائة فارس وسبعمائة بعير، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج هذا الجمع استشار أصحابه فأشاروا بالإقدام، فارتحل بهم حتى وصل قريبا من وادي بدر، فبلغه أن أبا سفيان قد نجا بالتجارة وأن قريشا وراء الوادي، لأن أبا جهل أشار عليهم بعد أن علموا بنجاة العير ألا يرجعوا حتى يصلوا بدرا فينحروا ويطعموا الطعام ويسقوا الخمر فتنسج بهم العرب فتهاجم أبدا.

فسار جيش المشركين حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي (أي الشاطئ البعيد للوادي)، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى نزلوا بالعدوة الدنيا من الوادي، ولم يكن بها ماء فأرسل الله تعالى الغيث حتى سال الوادي فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم، وتلبدت لهم الأرض حتى سهل المسير فيها، أما الجهة التي كان بها المشركون فإن المطر أوحلها، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بأقرب ماء من القوم، وأمر ببناء حوض يملأ ماء لجيشه؛ كما أمر بأن يغور ما وراءه من الآبار حتى ينقطع أمل المشركين في الشرب من وراء المسلمين، ثم أذن لأصحابه أن يبنوا له عريشا (ما يستظل به) يأوي إليه، فبنى له فوق تل مشرف على ميدان القتال.

فلما تراءى الجيشان، وكان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة قام النبي صلى الله عليه وسلم بتعديل صفوف جيشه حتى صاروا كأنهم بنيان مرصوص، ونظر لقريش فقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني.

ثم برز ثلاثة من صفوف المشركين، وهم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة وطلبوا من يخرج إليهم، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فقال المشركون: إنما نطلب أكفاءنا من بني عمنا (أي القرشيين)، فبرز لهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب، فكان حمزة بإزاء شيبه وكان عبيدة بإزاء عتبة وكان علي بإزاء الوليد، فأما حمزة وعلي فقد أجهز كل منهما على مبارزه، وأما عبيدة فقد ضرب صاحبه ضربة لم تمته وضربه صاحبه مثلها، فجاء علي وحمزة فأجهزا علي مبارز عبيدة وحملوا عبيدة وهو جريح إلى صفوف المسلمين، وقد مات من آثار جراحه رضى الله عنه.

ثم بدأ الهجوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش يشجع الناس ويقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)، وأخذ من الحصباء (صغار الحجارة) حفنة (أو حفنة) رمى بها في وجوه المشركين قائلا: شاهت الوجوه (أي: قبحت)، ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم. فحمي الوطيس (أي: اشتد القتال). وأمد الله تعالى المسلمين بملائكة النصر، فلم تك إلا ساعة حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين رجلا وأسروا سبعين، ومن بين القتلى كثيرون من صناديدهم.

ولما انتهت الموقعة أمر عليه الصلاة والسلام بدفن الشهداء من المسلمين، كما أمر بإلقاء قتلى المشركين في قليب (القليب: البئر) بدر، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا رضى الله عنهم.

بعد أن انتهى القتال في بدر ودفن الشهداء والقتلى؛ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع الغنائم فجمعت، وأرسل من يبشر أهل المدينة بالنصر، ثم عاد عليه الصلاة

والسلام بالغنائم والأسرى إلى المدينة، فقسم الغنائم بين المجاهدين ومن في حكمهم من المخلفين لمصلحة، وحفظ لورثة الشهداء أسهمهم، وأما الأسرى فرأى بعد أن استشار أصحابه فيهم أن يستبقهم ويقبل الفداء من قريش عن توريد فداءه، فبعثت قريش بالمال لفداء أسراهم، فكان فداء الرجل من ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم بحسب منزلته فيهم، ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المسلمين يعلمهم، فكان ذلك فداءه.

وكان من الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعفه من الفداء مع أنه إنما خرج لهذه الحرب مكرها، وقد أسلم العباس عقب غزوة بدر ولكنه لم يظهر إسلامه إلا قبيل فتح مكة.

وكان منهم أيضا أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد افتدته رضي الله عنها بقلادتها فردت إليها، واشترط عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمكنها من الهجرة إلى المدينة فوفى بشرطه، وقد أسلم قبل فتح مكة، فرد إليه النبي صلى الله عليه وسلم زوجته. ومنهم من من عليه النبي صلى الله عليه وسلم بغير فداء؛ كأبي عزة الجمحي الذي كان يثير بشعره قريشا ضد المسلمين، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفكه من الأسر على ألا يعود لمثل ذلك، فأطلقه على هذا الشرط، ولكنه لم يف بعهده بعد، وقتل بعد غزوة أحد.

ومن قتلى قريش: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وحنظلة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة، والجراح والد أبي عبيدة، قتله ابنه أبو عبيدة بعد أن ابتعد عنه فلم يرجع.

وأما شهداء بدر الأربعة عشر فمنهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، فمن المهاجرين: عبيدة بن الحارث وعمير بن أبي وقاص، ومن الأنصار: عوف ومعوذ ابنا عفراء الخزرجيان، وهما اللذان قتلا أبا جهل، ومنهم سعد بن خيثمة الأوسي أحد النقباء في بيعة العقبة (درس ٦).

وهذه الغزوة الكبرى التي انتصر فيها المسلمون ذلك الانتصار الباهر، مع قلة عددهم وعددهم وكثرة عدد العدو وعدده، من الأدلة الكبرى على عناية الله تعالى بالمسلمين الصادقي العزيمة، الممتلئة قلوبهم طمأنينة بالله تعالى وثقة بما وعدهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفوز والنصر.

ولقد دخل بسببها الرعب في قلوب كافة العرب، فكانت للمسلمين عزاء وهيبة وقوة، والحمد لله رب العالمين.

أسئلة للمراجعة

- (١) لم شرع قتال المشركين؟ أ.... ب....
- (٢) ما الفرق بين "الغزوات" و"السرايا"؟
- (٣) اسرد أسماء الغزوات، وعدد السرايا في كل سنة من سنوات العهد المدني؟
- (٤) بين سبب تسمية كل من الغزوات في السؤال السابق، والسبب في وقوعه (عدا الغزوات الرئيسية المشمولة بالأسئلة التالية).
- (٥) بين المقدمات المؤدية لغزوة بدر الكبرى.
- (٦) كم كان تعداد الرجال والفرسان والبعير لدى كل من المسلمين والمشركين في غزوة بدر؟
- (٧) كيف استعد المشركون لما يظنون من نصر مأمول في بدر؟
- (٨) كيف أعد الرسول ﷺ ميدان المعركة؟
- (٩) اذكر دعاء النبي ﷺ في مطلع الغزوة؟
- (١٠) اذكر وقائع أول مبارزة بين المسلمين والمشركين؟
- (١١) كيف كان الرسول ﷺ يشجع جيشه؟
- (١٢) عم أسفرت الغزوة من: قتلى المشركين، وشهداء المسلمين؟ وكم منهم من المهاجرين؟ ومن الأنصار؟
- (١٣) كيف قسم ﷺ غنائم بدر؟
- (١٤) ماذا فعل ﷺ بأسارى بدر؟ ومن أشهرهم؟ وماذا كان من شأنه مع هؤلاء؟
- (١٥) من أشهر قتلى الكفار ببدر؟ ومن أشهر المسلمين الشهداء؟
- (١٦) كيف أثرت غزوة بدر على معنويات المسلمين؟

درس ٤٨ من غزوة أحد إلى الحديبية

غزوة أحد - غزوة الخندق - غزوة بني قريظة - غزوة الحديبية وصلحها

غزوة أحد

بعد أن مضى على غزوة بدر عام كامل؛ وكانت عير قريش لم تزل موقوفة بدار الندوة؛ اجتمع من بقي من عظمائهم إلى أبي سفيان، وانفقوا على أن يتركوا ربح أموالهم في تلك العير استعدادا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار، فاجتمع منهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم حلفاؤهم من بني المصطلق وغيرهم، وخرجوا بالقيان والذفوف والخمور، ومعهم هند امرأة أبي سفيان وخمس عشرة امرأة ليشجعنهم، وساروا حتى وصلوا إلى ذي الحليفة بالقرب من المدينة.

وقد كان العباس بن عبد المطلب بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب يخبره فيه بخروج القوم، فجمع عليه الصلاة والسلام أصحابه وأخبرهم الخبر، واستشارهم في البقاء بالمدينة حتى إذا قدم القوم إليها قاتلوهم، فكان رأي الأكثرين الخروج للقاء العدو، ففي يوم الجمعة لعشر خلون من شوال في السنة الثالثة للهجرة صلى الجمعة بالناس، وحضهم في خطبتها على الثبات والصبر، ثم دخل حجرته فلبس درعين وتقلد السيف وألقى الترس (الترس يتوقى به في الحرب) وراء ظهره، ولما خرج للناس بعدته هذه قال بعض من أشار بالخروج: نتبع ما عرضته من البقاء، فقال: ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.

ثم عقد الألوية واستعرض الجيش وسار بألف رجل حتى منتصف الطريق بين المدينة وجبل أحد، وهو جبل في شمال المدينة، فرجع عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين في ثلاثمائة من أصحابه، ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة؛ وقد نزل المشركون ببطن الوادي بالقرب من أحد، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرماة؛ وكانوا خمسين رجلا؛ فجعلهم خلف الجيش على ظهر الجبل، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم، ثم عدل الصفوف وخطب في الجيش بالنصائح والمواعظ، ثم خرج رجل من صفوف المشركين فيبرز له الزبير بن العوام فقتله؛ وقتل على بن أبي طالب حامل لواء المشركين، واسمه حمزة أوطاة،

وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق يطلب المبارزة فهم أبو بكر أن يبرز إليه، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً له: متعنا بنفسك يا أبا بكر. ثم التقت الصفوف، وجعلت نساء قريش يضربن الدفوف وينشدن الأشعار تهيبجا لرجالهن، فدارت رجا الحرب، وكانت الغلبة للمسلمين، إلا أن الرماة لما رأوا انكشاف المشركين ترك أكثرهم مكانهم الذي أمروا ألا يتحولوا عنه، وتحولوا إلى العسكر، وخلوا ظهر المسلمين للعدو، واشتغل بعض الجيش بالغنائم، فاختلفت الصفوف، فتحولت فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد وجاءوهم من خلفهم، فأصابوا فيهم، وأذيع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأضعف ذلك من عزائم الجيش، وانهزم جماعة من المسلمين، وانكشف مكان النبي صلى الله عليه وسلم للعدو فأصابته الحجارة، ووقع لشقه، فأصيبت رباعيته (السن التي بين الناب والثنية)، وجرح وجهه وشفته، ودخلت حلقتان من المغفر في وجنته (المغفر: زرد، أي حلقات، ينسج من الدروع على قدر الرأس)، وقد عالج أبو عبيدة بن الجراح نزع هاتين الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزعهما، وكسرت في ذلك ثنيتاه (السنيتين الأماميتين) رضي الله عنه.

وأحاط به الكفار فدافع دونه خمسة من الأنصار، وعاد إليهم فئة من المسلمين حتى أجلوا الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن امتاز بالمدافعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت: سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو طلحة الأنصاري الذي نثر كنانته (جعبة سهامه) بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو دجانة الذي كان النبل يقع في ظهره وهو منحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بعد أن أجلي الكفار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه كعب بن مالك الأنصاري، فشرع ينادي: يا معشر المسلمين أبشروا، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اسكت، ثم سار عليه الصلاة والسلام نحو الشعب بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد، ومعه أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وغيرهم، وجاءت فاطمة الزهراء رضي الله عنها فغسلت عنه الدم وضمدت جروحه، وأقبل أبي بن خلف من المشركين يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم بحربة فوقع عن فرسه، وأصيب في عنقه، ومات بسبب ذلك، ولم يقتل بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد غيره، لا في هذه الغزوة ولا في غيرها.

ثم أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلو صخرة في الشعب لينظر جماعة المشركين فلم يتمكن من القيام بنفسه، فأعانه طلحة بن عبيد الله حتى أصعده على الصخرة، فرأى جماعة المشركين على ظهر الجبل فقال: لا ينبغي لهم أن يعلونا. فأرسل إليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم، وقد صعدا أبو سفيان ربوة ونادى بأعلى صوته: إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعل هبل (اسم صنم لهم)، فأمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يجيبه، فأجابه عمر رضي الله عنه بقوله: الله أعلى وأجل لا سواء، قتلنا في الجنة وقتلكم في النار. فلما سمع أبو سفيان صوت عمر قال: هلم إلي يا عمر، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه، فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن.

ثم نادى أبو سفيان: إن موعدكم بدر العام المقبل، فأجيب من قبل المسلمين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، هو بيننا وبينك موعد، وقد أخلف أبو سفيان مواعده فلم يخرج في العام التالي، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد خرج في ذلك العام إلى بدر ولم يلق أحدا، وسميت تلك الغزوة بدر الأخرى أو الصغرى.

ثم انصرفوا، وتفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى وأمر بدفنهم، وعاد إلى المدينة في منتصف شوال. وقد بلغ عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوة سبعين شهيدا، منهم أربعة من المهاجرين والباقيون من الأنصار، وقتل من المشركين اثنان وعشرون. وجعلت زوجة أبي سفيان ومن معها من النساء يمثلن بالشهداء، فجذعن الأذان والأنوف، واتخذن منها قلائد، وبقرت زوجة أبي سفيان بطن حمزة، ولاكت كبده تشفيا من نكايتهم في غزوة بدر.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وصوله إلى المدينة بليلة واحدة أن يخرج معه لتعقب العدو كل من حضر هذه الغزوة، فلما شعر أبو سفيان بذلك هم أن يعود بالمشركين للقاء المسلمين، فقبل له: إن محمدا قد أقبل في جميع أصحابه، فخاف وانتثنى عن عزمه، واستمر راجعا إلى مكة، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه في حمراء الأسد، وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة، أقام هنالك ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة بعد أن تأكد من انصراف المشركين إلى مكة.

غزوة الخندق

كان بين المسلمين من الخزرج وبين يهود بني النضير المجاورين للمدينة عهد على التناصر، فخان اليهود عهدهم مع المسلمين، حيث هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج عليه الصلاة والسلام إليهم في السنة الرابعة للهجرة حتى أجلاهم عن مواطنهم، فأورث الله تعالى المسلمين أرضهم وديارهم، ولم يقر لهؤلاء اليهود قرار بعد ذلك فذهب جمع منهم إلى مكة، وقابلوا رؤساء قريش وانفقوا معهم ومع قبيلة غطفان على حرب المسلمين، فتجهزت قريش ومن تبعهم من كنانة، وتجهزت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، وتحزبوا جميعا على محاربة المسلمين، حتى بلغ عدد جميعهم عشرة آلاف محارب قاتدهم العام أبو سفيان.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لذلك استشار أصحابه فيما يعمل لمقاومتهم، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق في شمال المدينة من

الجهة التي توتى منها المدينة، فحفروه، وجاءت قريش ومن معها من الأحزاب ونزلوا خلف الخندق، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين أمام الخندق، واستمروا على هذه الحالة يترامون بالنبل بضعا وعشرين ليلة، وقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم حراسا على الخندق لئلا يفتحمه الأعداء ليلا، وكان يحرس بنفسه أصعب جهة فيه، ولما طالت المدة اقتحم جماعة من المشركين الخندق بخيلهم، فمنهم من وقع فيه فاندق عنقه، ومنهم من برز له بعض شجعان المسلمين فقتله، وقد استمرت هذه المعركة يوما كاملا.

غزوة بني قريظة

ثم بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قريظة القاطنين بجوار المدينة يريدون نقض ما بينهم وبينه من العهود، فاسترجع من جيشه خمسمائة رجل لحراسة النساء والذراري، ولما علم المسلمون بأمر بني قريظة اشتد وجلهم لأن العدو قد أصبح محيطا بهم من الخارج والداخل، ولكن الله سبحانه وتعالى قبيض لرسوله صلى الله عليه وسلم من انبث بين الأعداء يفرق جموعهم بالخديعة والحيلة، حتى استحکم الفشل بينهم، وخاف بعضهم بعضا، وأرسل الله تعالى عليهم ريحا باردة في ليل مظلم أكفأت قدورهم وطرحت أنيتهم، فارتحلوا من ليلتهم، وأزاح الله تعالى هذه الغمة التي تحزب فيها الأحزاب من قبائل العرب واليهود على المسلمين.

وكانت هذه الحادثة بين شهري شوال وذي القعدة من شهور السنة الخامسة للهجرة، واستشهد فيها من المسلمين ستة، وقتل من المشركين ثلاثة.

ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلع لباس الحرب حتى حاصر بني قريظة لخيانتهم ونقضهم للعهد، واستمر محاصرا لهم خمسا وعشرين ليلة، حتى كادوا يهلكون ولم يروا بدا من التسليم لما يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضوا بأن ينزلوا على حكم سيدهم سعد بن معاذ، فحكم بقتل رجالهم وسبي نساءهم وذراريهم وأخذ غنائمهم، فحبس الرجال في دور الأنصار حتى حفرت لهم خنادق ضربت أعناقهم فيها، وكانوا نحو سبعمائة رجل، وبذلك أراح الله المسلمين من شر مجاورة هؤلاء الأعداء، والله عزيز ذو انتقام.

غزوة الحديبية وصلحها

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة الخندق بقية السنة الخامسة للهجرة، وفي السنة السادسة خرج إلى بني لحيان الذين قتلوا عاصم بن ثابت ومن معه، فوجد القوم قد تفرقوا، ثم إلى ذي قرد لرد إغارة عيينة بن حصن على لقاحه صلى الله

عليه وسلم (واللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب)، ففر العدو بعد مناوشة لم تطل، ثم إلى بني المصطلق لما بلغه أنهم يجمعون له الجموع، فهزمهم وغنم منهم أموالا وسبايا.

ثم خرج صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من تلك السنة إلى مكة يقصد العمرة، وخرج معه من المهاجرين والأنصار ألف وخمسمائة، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لم يخرج محاربا، وأمر أصحابه ألا يستصحبوا معهم من السلاح إلا السيوف مغمدة في قربها، حتى لا يدخلوا المسجد الحرام بسيوف مجردة، فسار عليه الصلاة والسلام بهذا الجمع حتى وصلوا عسفان، وهو موضع على مرحلتين من مكة، فجاءه من أخبره أن قريشا اتفقت على صد المسلمين عن مكة، وتجهزت للحرب، وأخرجت خالد بن الوليد في مائتي فارس ليصدوا المسلمين عن التقدم، فسار المسلمون من طريق آخر تملك مكة من أسفلها، حتى وصلوا إلى مهبط الحديبية، وهي بئر بقرب مكة سمي الموضع باسمها، فبركت ناقته صلى الله عليه وسلم، فأمر أصحابه بالنزول، وهناك جاء رسول من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بمقصده، فلما رجع إلى قريش لم يثقوا به، فأرسلوا آخر، فلما رأى الهدى وسمع التلبية رجع وقال لقريش: إن القوم جاءوا معتمرين، وما ينبغي أن يصدوا، وما ينبغي أن تحج لخم وجدام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب، فلم تسمع قريش لقوله، وبعثوا آخر فرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم احترامهم لنبيهم ومحبتهم إياه، فرجع إلى قريش وحدثهم بما رأى وقال: إني والله ما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه. فتكلم القوم فيما بينهم، وقالوا: نرده عامنا ويرجع إلى قابل.

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه في جوار رجل من بني أمية ليعلمهم بقصده، وخرج معه عشرة من المسلمين لزيارة أقاربهم بمكة، فقالت قريش: إن محمدا لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ثم منعوا سيدنا عثمان رضي الله عنه ومن معه من الرجوع، وشاع بين المسلمين أنه قد قتل، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للبيعة على القتال، فبايعوه على ذلك، وكان ذلك تحت شجرة سميت بعد بشجرة الرضوان، وسميت هذه البيعة أيضا بيعة الرضوان، وبعث المشركون طلائعهم فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلا.

ولما سمعت قريش بهذه البيعة خافوا أن تدور عليهم الدائرة؛ فأرسلوا أحدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكالمة في الصلح، وبعد أن أطلقوا سبيل سيدنا عثمان ومن معه، وأطلق المسلمون من أسروهم، اتفق معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد الصلح، وهي أربعة أمور: ترك الحرب بين الفريقين عشر سنين. وأن يرجع رسول الله والمسلمون من عامهم دون أن يدخلوا مكة؛ فإذا جاء العام الثاني دخلوها بدون سلاح سوى السيوف في القرب وأقاموا بها ثلاثة أيام بعد أن تخرج منها

قريش. وأن من أتى إلى المسلمين من قريش ردوه إليهم، ومن جاء إلى قريش من المسلمين لا يلزمون برده. وأن من أحب أن يدخل في عهد المسلمين دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

وأملى النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، فكتب بذلك وثيقة، وقد رضي المسلمون بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تألموا من بعض هذه الشروط، ثم تحلل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من عمرتهم وعادوا إلى المدينة، وقد نزلت في هذه الحادثة (سورة الفتح).

أسئلة للمراجعة

- (١) من الذي أخبر النبي ﷺ بخروج قريش لحرب المسلمين في أحد؟
- (٢) بين كيف لجأ ﷺ إلى الشورى في التخطيط للغزوة؟ وكيف كان موقفه ممن تراجعوا عن رأيهم الأول؟
- (٣) كم كان عدد المسلمين في أحد؟ وكم كان عدد الكفار؟
- (٤) ماذا كان من شأن المنافقين؟ ومن رأسهم؟
- (٥) كيف رتب ﷺ جيش المسلمين في أحد؟
- (٦) من من المشركين سعى لمبارزة أبيه؟ وبم علق رسول الله على ذلك؟
- (٧) كيف تحول النصر إلى هزيمة للمسلمين؟
- (٨) ماذا أصاب الرسول ﷺ؟ ومن الذين دافعوا عنه؟
- (٩) من الذي قتل بيده الشريفة ﷺ في هذه الغزوة، ولم يقتل غيره بيده أبداً؟
- (١٠) لخص الحوار بين عمر بن الخطاب وبين أبي سفيان في نهاية المعركة؟
- (١١) كم كان عدد شهداء أحد؟ وقتلى المشركين؟
- (١٢) من أهم شهداء أحد؟ ومن التي مثلت به؟
- (١٣) ماذا تعرف عن غزوة بدر الصغرى؟
- (١٤) ما سبب غزوة بني النضير؟
- (١٥) ما دور اليهود في التحريض على الحرب في غزوة الخندق؟
- (١٦) كم كان عدد المسلمين في غزوة الخندق؟ وعدد المشركين؟
- (١٧) لم سميت غزوة الخندق بذلك؟ ومن صاحب خطة الدفاع عن المدينة؟
- (١٨) ما دور الرسول ﷺ في هذه الغزوة؟
- (١٩) كيف حسمت غزوة الخندق لصالح المسلمين فتنفرت الأحزاب؟
- (٢٠) لم سميت غزوة الخندق أيضاً بغزوة "الأحزاب"؟
- (٢١) ما الذي دفع الرسول ﷺ إلى مهاجمة بني قريظة ومحاصرتهم؟
- (٢٢) كم طال حصار اليهود في بني قريظة قبل التسليم؟
- (٢٣) ماذا كان حكم الرسول (صلى الله عليه وسلم) في اليهود إثر استسلامهم؟ وإلى من عهد بالقضاء في شأنهم؟
- (٢٤) ما السبب في وقوع غزوات: بني لحيان؟ وذي قرد؟ و بني المصطلق؟
- (٢٥) ماذا كان مقصد الرسول من "غزوة الحديبية"؟ وهل كان فيها قتال؟
- (٢٦) من الذي بايع، وعلام بايع؟ في بيعة الرضوان؟ ولم سميت بذلك؟
- (٢٧) لخص موقف المشركين من المسلمين قبل وبعد بيعة الرضوان.
- (٢٨) علام نصت بنود صلح الحديبية؟ أ..... ب..... خ..... د.....
- (٢٩) أي سور القرآن نزلت في شأن الحديبية؟
- (٣٠) ما الذي استفاده المسلمون من صلح الحديبية؟

درس ٤٩ من مراسلة الملوك إلى فتح مكة

مراسلة رسول الله ﷺ للملوك - غزوة خيبر - عمرة القضاء -
سرية مؤتة - فتح مكة

مراسلة رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك

بعد تلك الهدنة التي تمت بصلح الحديبية أمن المسلمون شر قريش، وأصبحت طرق المواصلات مع سائر الجهات متيسرة، فشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة وتعميمها، فكتب ملوك الأرض يدعوهم وأمهم إلى الإسلام، واتخذ له خاتماً نقشه : (محمد رسول الله).

فبعث دحية الكلبي (من قبيلة كلاب) بكتاب إلى قيصر ملك الروم وكان بالقدس، فلما وصله الكتاب، وكان أبو سفيان بالشام في تجارة، فاستدعاه وسأله عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. فسأله: هل تكلم بهذا القول أحد قبلك؟ فقال: لا. فسأله هل كنتم تتهمونه بالكذب؟ فقال: لا. فسأله: هل كان من آبائه ملك؟ فقال: لا. فسأله: هل أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. فسأله: فهل يزيدون أم ينقصون؟ فقال: بل يزيدون. فسأله: فهل يرتد أحد منهم كراهية في دينه؟ فقال: لا. فسأله: هل يغدر إذا عاهد؟ فقال: لا. فسأله: هل قاتلتموه، وكيف حربكم وحربه؟ فقال: حاربناه، وكانت الحرب بيننا وبينه سجالا، مرة لنا ومرة علينا. فسأله: بسم يأمركم؟ فقال: يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهى عما كان يعبد آباؤنا، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. فاستنتج ذلك الملك مما ذكر أنه نبي، وقال لأبي سفيان: إن كان ما كلمتني به حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، ثم جمع عظماء الروم وحادثهم في اتباع هذا النبي، فنفروا وقد غلب عليه حب ملكه فلم يسلم، ولكنه رد دحية ردا جميلا. وأرسل عليه الصلاة والسلام الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير بصرى، فلما بلغ مؤتة من قرى الشام تعرض له شرحبيل العسالي فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره.

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتابا إلى أمير دمشق التابع لملك الروم، فلما وصله الكتاب وقرأه رمى به واستعد لحرب المسلمين، واستأذن ملكه في ذلك فلم يأذن له.

وأرسل عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أمير مصر من قبل ملك الروم، وكان بالإسكندرية، فلما قرأه قال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال له حاطب: أأست تشهد أن عيسى رسول الله هو ابن الله؟ فلم لم يمنعه الله حين أخذه قومه ليقتلوه؟ فقال المقوقس لحاطب: أحسنت، ولقد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجد بالساحر الضار، ولا بالكاهن الكذاب، وسأنظر. ثم كتب رد الجواب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام لا اعتراف فيه ولا إنكار، وأهدى له جاريتين، إحداهما مارية التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام وأتى منها بولده إبراهيم عليه السلام.

وأرسل عليه الصلاة والسلام كتابا إلى النجاشي ملك الحبشة، فلما قرأه قال للرسول: إني أعلم والله أن عيسى بشر به، ولكن أعواني بالحبشة قليل. وأرسل إلى كسرى ملك الفرس فاستكبر ومزق الكتاب، فمزق الله تعالى ملكه كل ممزق.

وأرسل إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، فأسلم وأسلم معه بعض قومه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم أميراً من قبله على جهة البحرين. وأرسل إلى جعفر وعبد الله ابني الجندى ملكي عمان، فأسلما بعد أن سألا عما يأمر به النبي وينهى عنه، فقال لهما رسول النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر؛ وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. وأرسل عليه الصلاة والسلام إلى هوزة بن علي ملك اليمامة، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بعض الأمر فلم يجبه.

غزوة خيبر

بعد أن تم صلح الحديبية واستراح المسلمون من غزوات قريش، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستريح أيضاً من أعدائه القريبيين الذين يترصدون به الشر، وهم أهل خيبر الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين في غزوة الخندق، فخرج صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في أول السنة السابعة للهجرة، وكانت خيبر محصنة بثمانية حصون، فعسكر المسلمون خارجها، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم ليرهبهم، فلما رأهم مصرين على القتال بدأهم بالمرامة، واستمروا في المناوشة سبعة أيام، ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم، وتبعوهم حتى دخلوا أول حصن، فانهزم الأعداء إلى الحصن الذي يليه، فقاتلوا عنه قتالاً شديداً حتى كادوا يردون المسلمين عنه، ولكن المسلمين اقتحموا عليهم هذا الحصن حتى ألجأوهم إلى

الحصن الذي يليه، وحاصروهم فيه ومنعوا عنهم جداول الماء، فخرجوا وقاتلوا حتى انهزموا إلى حصن آخر، وهكذا حتى لم يبق غير الحصنين الأخيرين فلم يقاوم أهلها، بل سلموا طالبين حقن دمايتهم، وأن يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم، لا يأخذ الواحد منهم إلا ثوبا واحدا على ظهره، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وغنم المسلمون من خيبر غنائم كثيرة من دروع وسيوف ورماح وأقواس وحلي وأثاث ومتاع وغنم وطعام.

وقد قتل من اليهود في هذه الغزوة ثلاثة وتسعون قتيلًا، واستشهد من المسلمين خمسة عشر شهيدًا.

وفي هذه الغزوة أهدت امرأة يهودية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذراع شاة مسمومة فأخذ منها مضغًا ثم لفظها، حيث أعلمه الله تعالى أنها مسمومة، وقد اعترفت تلك المرأة بما فعلت، وقالت: قلت إن كان نبيا لن يضر، وإن كان كاذبا أراحنا الله منه. فعفا عنها صلى الله عليه وسلم.

وبعد فتح خيبر أرسل صلى الله عليه وسلم إلى يهود فدك، فصالحوا على أن يتركوا له أموالهم ويحقن دماءهم، فأجابهم لذلك.

وبعد رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة بقية من كان فيها من المهاجرين، منهم جعفر بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وقومه، بعد أن أقاموا بها عشر سنين. وقد أسلم بعد غزوة خيبر ثلاثة من عظماء الرجال: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة العبدي.

عمرة القضاء

ولما حال الحول على صلح الحديبية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى الحديبية الذين صدوا معه عن البيت عام الحديبية، ليقضوا تلك العمرة التي صدوا عنها حسب عهدة الحديبية، فلما وصلوا إلى مكة خرجت منها قريش ودخلها المسلمون وقضوا عمرتهم، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وانصرفوا إلى المدينة بسلام.

سرية مؤتة

في منتصف السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشًا مؤلفًا من ثلاثة آلاف مقاتل، للاقتصاص من عمرو بن شرحبيل أمير بصرى من قبل الروم لقتله الحارث بن عمير الذي بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، فلما بلغ هذا الجيش أرض مؤتة قابلهم الروم والعرب المنتصرة في مائة وخمسين ألفًا، وكان قائد المسلمين زيد بن حارثة قتل، فتولى القيادة جعفر بن أبي

طالب فقتل، ثم عبد الله بن رواحة فقتل، وكان هذا الترتيب بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد أن استشهد من سماهم النبي صلى الله عليه وسلم اتفق الجيش على تولية خالد بن الوليد، فجعل يخادع الأعداء حتى ألقى الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا.

فتح مكة

كانت بطون خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما كانت بنو بكر بن وائل في عهد قريش، وكان بين هذين الجيشين دماء، فثار بنو بكر على خزاعة، وساعدتهم قريش بالسلاح والأنفس وقتلواهم، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من خزاعة وأخبروه بنقض قريش للعهد، فلما أحست قريش بما فعلت جاء منهم أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوي العهد ويزيد في المدة فلم يجبه إلى ذلك، وتأكد المسلمون من نقض قريش للعهد، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار وطوائف من العرب، وخرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضت من شهر رمضان في السنة الثامنة للهجرة، وساروا حتى نزلوا بمر الظهران بقرب مكة بدون أن تعلم قريش بوجهتهم.

وقد كان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة بأهله، فقابله عليه الصلاة والسلام في الطريق فأرجعه معه، وبعث بعياله إلى المدينة. وبينما جيش المسلمين بمر الظهران إذ خرج أبو سفيان ومعه أخران يتجسسون الأخبار، لما كانوا يتوقعونه من عدم سكوت المسلمين على نقض العهد، فظفرت بهم جنود المسلمين، وكان أول من لقي أبا سفيان العباس بن عبد المطلب، فأخذ معه حتى وصل به إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنه وسلمه للعباس. فلما أصبح أسلم وشهد شهادة الحق، فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا، فقال عليه الصلاة والسلام: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ثم أمر العباس أن يقف بأبي سفيان حيث يسير الجيش حتى ينظر إلى المسلمين، فجعلت القبائل تمر عليه كتيبة كتيبة حتى انتهت، وانطلق أبو سفيان إلى مكة مسرعا ونادى بأعلى صوته: يا معشر قريش، لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالبحجون، وهو جبل بمعلاة مكة، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل مكة بمن معه من كدى، وهو جبل بأسفل مكة من جهة اليمن، ودخل صلى الله عليه وسلم ومن معه من كداء، وهو جبل بأعلا مكة، ونادى مناديه: من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. واستثنى من ذلك جماعة أهدر دماءهم لشدة ما ألحقوا بالمسلمين من الأذى، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وكعب

بن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وهبار بن الأسود والحارث بن هشام، وهؤلاء قد أسلموا.

وقد صادف جيش خالد بن الوليد في دخوله مقاومة من طائشي قريش فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين، واستشهد من فرقته اثنان. وأما فرقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تصادف مقاومة، وقد دخل عليه الصلاة والسلام راكبا راحلته، وهو منحن على الرحل تواضعا لله تعالى، وشكرا له عز وجل على هذه النعمة العظمى، وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشر خلعت من رمضان.

نصبت له عليه الصلاة والسلام قبة في الموضع الذي أشار بأن تركز فيه الراية، فاستراح في القبة قليلا، ثم سار وهو يقرأ سورة الفتح وبجانبه أبو بكر، حتى دخل البيت وطاف سبعا على راحلته، واستلم الحجر بمحجته، وكان حول الكعبة أصنام كثيرة؛ فكان يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، وما يبدي الباطل وما يعيد.

بعد أن أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه أمر بالأصنام فأزيلت من حول الكعبة، وطهر الكعبة من هذه المعبودات الباطلة، ثم أخذ عليه الصلاة والسلام مفتاح الكعبة من حاجبها عثمان بن طلحة الشيباني، ودخلها وكبر في نواحيها، ثم خرج إلى مقام إبراهيم صلى فيه، ثم جلس في المسجد والناس حوله ينتظرون ما هو أمر به في شأن قريش، فقال عليه الصلاة والسلام: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ورد مفتاح الكعبة لسادنها، ثم خطب في الناس خطبة أبان فيها كثيرا من أحكام الدين، وبعد أن أتمها شرع الناس يبايعونه على الإسلام، فأسلم كثير من قريش.

وممن أسلم في ذلك الوقت معاوية بن أبي سفيان، وأبو قحافة والد الصديق، وأسلم بعض من أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه في ذلك اليوم، وبايع فقبلت بيعته، وبعد أن تمت بيعة الرجال بايعه النساء.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة، وكانت هذه أول مرة ظهر فيها الإسلام على ظهر البيت.

وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوما، أرسل في أثنائها خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا لهدم هيكل (العزى)، وهو أكبر صنم لقريش، وأرسل عمرو بن العاص لهدم (سواع) وهو أعظم صنم لهذيل، وبعث آخر لهدم (مناة) وهي صنم لخزاعة.

أسئلة للمراجعة

- (١) ما العبارة التي نقش بها خاتم رسول الله ﷺ في رسائله؟
- (٢) لخص موقف كل من الملوك الذين راسلهم النبي ﷺ داعياً إلى الإسلام.
- (٣) لخص الحوار بين أبي سفيان وأحد هؤلاء الملوك حول دعوة النبي ﷺ.
- (٤) لخص حوار حاطب بن أبي بلتعة مع المقوقس.
- (٥) ما الذي دفع النبي ﷺ إلى غزو أهل خيبر اليهود؟
- (٦) لم أمر الرسول ﷺ بقطع النخيل؟
- (٧) كيف استبسل المسلمون في قتال يهود خيبر؟
- (٨) اذكر مثلاً لكيد اليهود وخيانتهم في هذه الغزوة.
- (٩) متى عاد أواخر المسلمين المهاجرين من الحبشة؟
- (١٠) من أشهر من أسلم بعد هذه الغزوة؟
- (١١) كيف كان مصير اليهود في نهاية غزوة خيبر؟
- (١٢) متى كانت عمرة القضاء؟ ولم سميت بذلك؟
- (١٣) ما الذي دفع الرسول ﷺ إلى بعث سرية مؤتة؟
- (١٤) كم كان جيش المسلمين في غزوة مؤتة؟ وكم كان جيش النصارى؟
- (١٥) من الذي تولى قيادة المسلمين؟
- (١٦) كيف تجلّت بسالة المسلمين وقيادتهم في هذه الغزوة؟
- (١٧) ما الذي دفع المسلمين إلى إلغاء صلح الحديبية والاستعداد لفتح مكة؟
- (١٨) كيف أخفي المسلمون وجهتهم عن المشركين؟
- (١٩) كيف أسلم أبو سفيان؟ وكيف شجعه الرسول ﷺ على ذلك؟
- (٢٠) كيف اقتنع المشركون بالتسليم بدخول المسلمين مكة؟
- (٢١) كم بلغ عدد القتلى من المشركين؟ وشهداء المسلمين؟ فيما دار من قتال وهل شارك فيه الرسول؟
- (٢٢) كيف دخل ﷺ إلى مكة؟ وإلى البيت الحرام؟
- (٢٣) ماذا فعل الرسول بالكعبة وما حولها؟
- (٢٤) ماذا كان موقف الرسول من قريش إثر فتح مكة؟
- (٢٥) من أشهر من أسلم عند فتح مكة؟
- (٢٦) من أول من أذن على ظهر الكعبة؟
- (٢٧) من الذين أهدر الرسول ﷺ دمهم من أهل مكة؟ وماذا كان موقفهم؟
- (٢٨) كم أقام الرسول ﷺ بمكة بعد فتحها؟
- (٢٩) ماذا فعل الرسول بشأن أصنام قريش، وهذيل، وخزاعة؟

درس ٥٠ من غزوة حنين إلى نهاية السيرة

غزوة حنين - غزوة تبوك - عام الوفود - حجة الوداع - مرض رسول الله ﷺ ووفاته
- صفة النبي ﷺ - نبذة في شمائله وأخلاقه الشريفة

غزوة حنين

وبهذا الفتح دانت للإسلام جموع العرب، ودخلوا في دين الله أفواجا. غير أن قبيلتي هوازن وثقيف أخذتهم العزة والأنفة وتجمعوا لحرب المسلمين في مكة، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لهم في اثني عشر ألف مقاتل (وهو أكثر جنده عليه الصلاة والسلام)، فلما وصل جيش المسلمين إلى وادي حنين كان العدو كامنا في شعابه، فقاموا على المسلمين قومة رجل واحد قبل أن يتمكن المسلمون من تهيئة صفوفهم، فانهمزمت مقدمة جيش المسلمين، وكاد جيش المسلمين يتفرق مع كثرة عدده، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن ينادي في جيش المسلمين بالثبات، فاجتمعوا واقتتل الفريقان، ولم تمض ساعات حتى انهزم الأعداء هزيمة شديدة، وقد قتل من ثقيف وهوازن نحو سبعين، وغنم المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وإبل.

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف بالطائف فحاصرها مدة ولم يفتحها، وبعد رجوعه منها أتاه وهو بالجعرانة وفود من هوازن يلتمسون منه رد نسائهم وأبنائهم الذين سباهم المسلمون، فقال عليه الصلاة والسلام: ما كان لي ولبني عبد المطلب فقد رددته إليكم. فقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فردت إلى هوازن نسائهم وأبنائهم. ثم قام عليه الصلاة والسلام من الجعرانة إلى مكة معتمرا، فأدى العمرة وعاد بعد ذلك إلى المدينة، فوصلها لست بقين من ذي القعدة.

غزوة تبوك

أقام عليه الصلاة والسلام بالمدينة إلى منتصف السنة التاسعة للهجرة، ثم بلغه أن الروم يتجهزون في تبوك لحربه بعد ما كان بينهم وبين المسلمين في حادثة مؤتة، فجهز عليه الصلاة والسلام لغزورهم في ثلاثين ألف مقاتل، وكان المسلمون إذ ذاك في

زمن عسرة وجذب، فلم يعقهم ذلك عن التأهب لقتال الأعداء ، وتصديق أبو بكر لذلك بجميع ماله؛ وعثمان بن عفان بمال كثير، فخرج عليه الصلاة والسلام حتى وصل تبوك فلم يجدهم بها، فأقام بضع عشرة ليلة، ثم قفل إلى المدينة، وهذه آخر غزواته صلى الله عليه وسلم.

عام الوفود

قد عرفت أن الدعوة إلى الإسلام كانت في مبدئها سرا وخفية، وأن الذين دخلوا في الإسلام إذ ذلك أفراد قليلون، وبعد الجهر بالدعوة أخذ عددهم يزداد قليلا قليلا، إلى أن أذن له صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، فازداد عددهم بدخول عرب المدينة ومن حولها في الدين وحدانا وجماعات، ولكن الدعوة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة من الانتشار والعموم حتى تم صلح الحديبية بين قريش والمسلمين، فكان ذلك الصلح سببا كبيرا من أسباب فشو الدعوة وعمومها حيث أمنت الطرق وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام من إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والأمم والقبائل ، ثم تم الأمر بفتح مكة ودخول أعظم قريش في الإسلام، وانتشار القرآن بأسلوبه البديع وحكمه البالغة المؤثرين في عقول العرب ذلك التأثير الذي لانت به شكيمتهم وشرعوا يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا، وقد كان أكثر ذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فمن ذلك وفد (تقيف) جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه من تبوك يريدون الإسلام ، وطلبوا أشياء أباهم عليهم وأشياء أعطاهم لهم.
ووفد (نصارى نجران) ، وهؤلاء لم يسلموا بل رضوا بدفع الجزية .
ووفود (بني فزارة) قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين.
ووفد (بني تميم) جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أشرفهم ونادوه من وراء الحجرات ، وبعد تبادل الخطب وإنشاد الشعر بين خطبائهم وشعرائهم وخطباء المسلمين وشعرائهم أسلموا وعادوا إلى أوطانهم.

ووفد (بني سعد بن بكر) يؤمهم ضمام بن ثعلبة ، الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة وأجابه عنها ، فأسلم وعاد إلى قومه فما بقى منهم أحد إلا أسلم من يومه.

ووفد (كندة) في مقدمته الأشعث بن قيس ، وقد أسلموا بعد أن سمعوا أوائل سورة الصافات.

ووفد (بني عبد القيس بن ربيعة) وكانوا نصارى فأسلموا جميعا.
ووفد (بني حنيفة بن ربيعة) فأسلموا ، وكان فيهم مسيلمة بن حنيفة، الذي لقب بالكذاب لادعائه النبوة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدار الآخرة.

ووفد (طيء من قحطان) يقدمهم زيد الخيل، وقد أسلموا جميعاً.
ووفد (بني الحارث بن كعب) فيهم خالد بن الوليد جاءوا مسلمين.
ووفود آخرون من قبائل شتى من (بني أسد) و (بني محارب) و(همدان)
و(غسان) وغيرهم ، منهم من جاء مسلماً ، ومنهم من جاء للإسلام وأسلم، ورسل من
ملوك حمير وغيرهم، جاءوا يخبرون بإسلامهم.
وهكذا دخل الناس في دين الله أفواجا ، حتى بلغ من كانوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة أكثر من مائة ألف، والذين لم
يحضروا حجة الوداع من المسلمين كانوا أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة، **(والله يؤيد
بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار).**

حجة الوداع

بعد أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، بعث أبا بكر الصديق
رضي الله عنه في ذي القعدة إلى مكة سنة تسع من الهجرة ليحج بالناس ، وفي أواخر
ذي القعدة من السنة العاشرة قام عليه الصلاة والسلام إلى مكة في جمع عظيم، وأحرم
للحج وعندما سارت به راحلته وقال: لبيك اللهم لبيك . لا شريك لك لبيك . إن الحمد
والنعمة لك والملك . لا شريك لك. ولم يزل سائراً حتى دخل مكة ضحوة يوم الأحد
لأربع خلون من ذي الحجة ، وكان دخوله من ثنية كداء ، فطاف بالبيت سبعا ، واستلم
الحجر الأسود ، وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم ، وشرب من ماء زمزم ، وسعى بين
الصفاء والمروة سبعا ركباً على راحلته ، وفي الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى
فبات بها ، وفي التاسع منه توجه إلى عرفة وخطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع.
ابتدأها بعد الثناء على الله تعالى بقوله: أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم ، فإنني لا أدري
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. ثم قال: أيها الناس إن دماءكم وأموالكم
وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في
بلدكم هذا ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها . ثم قال: أيها الناس إن
نسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا
يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة. أيها الناس إنما المؤمنون
إخوة ، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، فلا ترجعن بعدي كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله.
ألا هل بلغت ، اللهم اشهد. ثم قال: أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أبابكم واحد. كلكم
لأدم وأدم من تراب. أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى.
ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب.
وقد اشتملت هذه الخطبة العظيمة على غير ذلك من أحكام الله تعالى وحدوده.

وقد أنزل الله عليه في ذلك اليوم قوله سبحانه وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

وبعد أن أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج: من رمي الجمار والنحر والحلق والطواف ، أقام بمكة عشرة أيام ثم قفل إلى المدينة صلى الله عليه وسلم.

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

في أوائل صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة مرض النبي صلى الله عليه وسلم بالحمى، واستمر ثلاثة عشر يوماً ينتقل في بيوت أزواجه ، ولما اشتد عليه مرضه استأذن منهن أن يتمرض في بيت عائشة فأذن له ، ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، ولما رأى الأنصار اشتداد مرضه أطافوا بالمسجد قلقين ، فخرج إليهم عليه الصلاة والسلام معصوب الرأس ، يخط برجليه متوكئاً على علي والفضل يتقدمهم العباس ، حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر وأحاط به الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم. هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلد فيكم؟ ألا إنني لاحق بهم وإنكم لاحقون بي، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم. إلى أن قال: ألا وأني فرط لكم (أي متقدم عليكم) وأنتم لاحقون بي ، ألا فإن موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يردّه علي غداً فليكف يده ولسانه إلا فيما ينبغي.

وبينما المسلمون في صلاة الفجر يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول؛ وأبو بكر رضي الله عنه يصلي بهم؛ إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف (ستر) حجرة عائشة رضي الله عنها ، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة وتبسم، فظن أبو بكر أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة فتقهقر إلى الصف، وكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرعى الستر، ثم حضرته الوفاة ورأسه الشريف على فخذه عائشة رضي الله عنها، فقال: اللهم في الرفيق الأعلى. ولم تأت ضحوة ذلك اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة الدنيا ولحق بربه عز وجل

ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه موجوداً في ذلك الوقت بالقرب من منزل عائشة، فلما حضر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يقبله ويبكي ويقول : صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حياً وميتاً. ثم خرج إلى الناس وقال: ألا إن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الأربعاء، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة لهم، وتفرغوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه، فغسله علي بن أبي طالب بمساعدة العباس وابنيه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران موليي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، ووضع على سريره في بيته، فدخل الناس يصلون عليه فرادى لا يؤمهم أحد، ثم حفر اللحد في موضع وفاته من حجرة عائشة ورش بالماء، وأنزله فيه علي والعباس وولداه الفضل وقثم، وقد رفع قبره الشريف عن الأرض قدر شبر.

وقد بلغ عمره الشريف ثلاثا وستين سنة، مكث منها بمكة ثلاثة وخمسين سنة، وبالمدينة المنورة عشر سنين، صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم.

صفة النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جميل الخفة، أزهر اللون (أي أبيض مشربا بحمرة)، يتلألأ وجهه تألؤ القمر ليلة البدر، عظيم الرأس، عظما مناسبا ليقية أعضائه، شعره بين الجعودة والسبوط (الجعد: الغليظ المجتمع، والسبوط: المسترسل)، كأنه مشط فتكسر قليلا، لا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا لم يقصره، وكان واسع الجبين، أزج الحواجب (أي دقيقة مقوسة) بدون اقتران، في وسط أنفه ارتفاع قليل من غير طول فيه، ليس بضيق الفم ولا واسع، رقيق الأسنان مفلج (مفرقة غير ملتصقة)، أسيل الخدين (أي غير مرتفع الوجنتين)، غزير شعر اللحية، جميل العنق، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، وموصول ما بين اللبة والسرة بالشعر (اللبة: موضع القلادة من الصدر)، أشعر الذراعين والمنكبين وأعلي الصدر، وليس على ثدييه وبطنه شعر غير ما ذكر.

وكان معتدل الأعضاء في سمن معتدل، ليس بمسترخي اللحم، وكان طويل الزندين، رحب الراحتين، ممتلئ الكفين والقدمين، متجافي الإخصيين (أي أن باطن قدميه لا يصل إلى الأرض عند وضعهما عليها)، ليس في قدميه غضون، أي تكاميش، ولا تشقق، بحيث إذا أصابها الماء لم يبق له أثر بهما.

وكان متوسط القامة لا هو بالطويل ولا بالقصير، إذا مشى رفع رجليه بنشاط، وأوسع في خطاه، ومال إلى سنن المشي برفق ووقار، وكأنما هو في مشيته ينزل من مكان منحدر. وكان خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وإذا التفت التفت جميعا، جل نظره الملاحظة، يتأخر عن أصحابه في المشي، ويبدأ من لقيه بالسلام.

نبذة في شمائله وأخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم

هانحن قد أوقفناك على خلاصة وافية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تعرف منها كيف كان يجاهد في إبلاغ دعوة ربه، وكم قاسى من الشدائد والمصاعب في سبيل إرشاد الخلق إلى طريق الحق.

ولنسرده لك جملة وجيزة من شمائله الشريفة وأخلاقه الكريمة وآدابه الحميدة، راجين أن يوفقنا الله تعالى وإياك للتخلق بهذه الأخلاق الكريمة، والتأدب بتلك الآداب الفاضلة.

قد جمع الله تعالى لنبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بين محاسن الخلق والخلق، ومنحه سبحانه وتعالى من هذه وتلك أكملها وأعدلها، فكان جميل الصورة، متناسب الأعضاء، نظيف الجسم، طيب الرائحة، منزها عن الأقدار والعيوب، معتدل الحركات، حسن الشمائل، مقتصرًا من ضروريات الحياة كالأكل والنوم على قدر الحاجة، وكان وافر العقل، ذكي القلب، قوي الحواس، فصيح اللسان، بليغ القول، حليما عفوا، صبورا على ما يكره، لا يغضب إلا لله ولا ينتصر لنفسه، ولم يضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله، فلم يضرب غلاما ولا امرأة.

وكان شجاعا ذا نجدة وفتوة، لا يهاب أحدا، ولا يفر حيث نفر الأبطال، وكان جوادا كريما سمحا سخيا.

وكان أشد الناس حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء لا يشافه أحدا بما يكره، فلم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا عيابا، ولا يجزي بالسينة سيئة بل يعفو ويصفح.

وكان حسن العشرة، كامل الأدب، واسع الخلق، دائم البشر، لين الجانب، رؤوفا رحيمًا، يكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره، يتواضع في غير منقصة، ويتفقد أصحابه، ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه منه. من جالسه أو فاضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول. قد وسع الناس خلقه فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق سواء.

وكان إذا أتى إلى مجلس جلس حيث ينتهي به المجلس، أي في أقرب مكان يصادفه، صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم.

وكان يجيب من دعاه ولو عبدا أو أمة، ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها (الكراع: ساق الغنم العارية من اللحم).

وكان يخالط أصحابه ويحدثهم، ويعود مرضاهم، ويمازحهم أحيانا ولا يقول إلا حقا.

وكان من خلقه الوفاء وحسن العهد والعدل والأمانة والعفة والصدق والمروءة.

وكان في أعظم حالات الوقار والتؤدة وحسن السميت.
وكان في خوف ربه وطاعته له عز وجل وإخلاصه في عبادته بالدرجة التي ليس
بعدها غاية، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم.

أسئلة للمراجعة

- (١) ما الذي أدى إلى قتال المشركين في حنين؟
- (٢) أي القبائل حاربت المسلمين في حنين؟
- (٣) كم كان جيش المسلمين في حنين؟
- (٤) ما الدرس الذي تعلمه المسلمون في هذه الغزوة؟
- (٥) كم كان قتلى المشركين في هذه الغزوة؟
- (٦) ماذا كان موقف الرسول والمسلمين من أسرى هوازن؟
- (٧) إلام انتهى حصار تقيف؟
- (٨) متى كانت عمرة الجعرانة؟ ولم سميت بذلك؟
- (٩) لم توجه الرسول ﷺ بالمسلمين إلى تبوك؟
- (١٠) كم كان عدد المسلمين في هذه الغزوة؟
- (١١) لم سميت بغزوة "العسرة"؟ واذكر دور أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان فيها.
- (١٢) كيف انتهت غزوة تبوك؟
- (١٣) لم سمي العام التاسع للهجرة بعام "الوفود"؟
- (١٤) من أشهر تلك الوفود؟ وماذا كان موقفهم عند لقاء الرسول ﷺ؟
- (١٥) فيمن نزلت سورة الحجرات؟
- (١٦) كم كان عدد المسلمين في حجة الوداع؟
- (١٧) من حج بالمسلمين سنة تسع؟
- (١٨) اذكر بعضاً من أهم ما اشتملت عليه خطبة الوداع؟
- (١٩) ما أشهر ما نزل من قرآن في حجة الوداع؟
- (٢٠) كم استمر مرض الرسول ﷺ الأخير؟
- (٢١) من صلى بالمسلمين عند تعذر خروج النبي ﷺ إليهم؟
- (٢٢) اذكر بعضاً مما قاله النبي ﷺ في آخر لقاء له بالمسلمين عند منبره.
- (٢٣) صف اللحظات الأخيرة من لقائه ﷺ بالمسلمين فجر يوم وفاته.
- (٢٤) ماذا كانت آخر كلماته ﷺ حين حضرته الوفاة؟
- (٢٥) ماذا قال أبو بكر الصديق عندما كشف عن وجه الرسول ﷺ؟
- (٢٦) متى توفي رسول الله ﷺ؟ وكم كان عمره حينئذ؟
- (٢٧) من الذي تولى غسل رسول الله ﷺ؟ ومن الذي تولى دفنه ﷺ؟ وأين دفن؟
- (٢٨) صف ما ذكر من هيبته الشريفة ﷺ. كيف كان يمشي ﷺ؟
- (٢٩) اذكر بعضاً من محاسن خلقه ﷺ.
- (٣٠) اذكر بعضاً من شمائله ﷺ التي لا تعد ولا تحصى.

مراجع مبنوبة مختارة

هذه طائفة متنوعة من المراجع المختارة للدراسة التفصيلية لموضوعات البرنامج، تتراوح في مدى إيجازها أو تفصيلها، وفي عمقها أو بساطتها، وفي أسلوب عرضها، حتى يجد الدارس فيها ما يلائمه للتوسع والاستزادة.

أصول الدين

إعجاز القرآن

- ١- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب - فتحي عبد القادر فريد- مكتبة النهضة المصرية.
- ٢- الإعجاز في دراسات السابقين - عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي.
- ٣- النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن - محمد عبد الله دراز- دار المرابطين بالإسكندرية.
- ٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - دار الفكر العربي.
- ٥- الإعجاز البياني للقرآن-عائشة عبد الرحمن - دار النشر للجامعات.
- ٦- الله والعلم الحديث - محمد عبد الرزاق نوفل - دار الشروق.
- ٧- البرهان على صدق تنزيل القرآن - نبيل عبد السلام هارون - دار النشر للجامعات.
- ٨- القرآن الكريم والعلم الحديث - منصور محمد حسب النبي - الهيئة العامة للكتاب.
- ٩- الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان - المختار الإسلامي.

التوحيد:

- ١٠- العقيدة الإسلامية، منهج ميسر-عبد الوارث مبروك سعيد-دار القلم.
- ١١- الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه -محمد نعيم ياسين - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ١٢- تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ١٣- العقائد الإسلامية - السيد سابق-الفتح للإعلام العربي
- ١٤- تعريف عام بدين الإسلام - علي الطنطاوي- دار الوفاء.
- ١٥- الإيمان - عبد المجيد الزندانى وآخرون - مؤسسة الرسالة.
- ١٦- أركان الإيمان (الشهادتان) - محمد الغزالي - دار الروضة.
- ١٧- حقيقة التوحيد - يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.
- ١٨- رسالة التوحيد - محمد عبده - دار الشعب.
- ١٩- عقيدة المسلم - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة.

مراجع ميبوبة مختارة

- ٢٠- كتاب التوحيد - عبد المجيد الزنداني - دار الجيل.
٢١- عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري - دار الكتب السلفية.
٢٢- حقيقة الإيمان (٢/١) - عمر عبد العزيز قريشي - دار الهدى.
٢٣- العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٦/١) - عمر سليمان الأشقر - دار النفائس.
٢٤- كتاب التوحيد - عبد المجيد الزنداني - دار السلام.
٢٥- الله جل جلاله - سعيد حوى - دار الجيل.
٢٦- وجود الله تعالى - يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.
٢٧- توحيد الخالق - عبد المجيد الزنداني - دار السلام.
٢٨- هو الله - ياسين رشدي - نهضة مصر.
٢٩- رحلة الخلود - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

مقارنة الأديان:

- ٣٠- الإسلام والأديان، دراسة مقارنة-مصطفى حلمي- دار الدعوة.
٣١- صور من عقائد أهل الأرض- شافع توفيق محمود- المركز العربي.
٣٢- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف - يحيى محمد على ربيع - دار الوفاء.
٣٣- الشهادتان في التوراة والإنجيل والقرآن- نبيل عبد السلام هارون - دار الطلائع.
٣٤- الأنجيل، دراسة مقارنة - أحمد طاهر- دار المعارف.
٣٥- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة- موريس بوكاي - دار المعارف.
٣٦- مقارنة الأديان (٤/١) - أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية.

علوم القرآن

- ٣٧- الحديث في علوم القرآن والحديث - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٨- من علوم القرآن وبلاغته (سلسلة الطريق إلى الله - ١٣) - ياسين رشدي - نهضة مصر.
٣٩- علوم القرآن - عبد الفتاح أبو سنة - دار الشروق.
٤٠- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - دار الفكر العربي.
٤١- الأصولان في علوم القرآن - محمد عبد المنعم الفيحي - دار الطباعة المحمدية.
٤٢- القرآن: المعجزة الكبرى - محمد أبو زهرة- دار الفكر العربي.

(في تجويد القرآن)

- ٤٣- تيسير التجويد - عبد الوارث مبروك سعيد - دار القلم.
٤٤- مبادئ علم التجويد - سالم محمود عبد الجليل - مركز فجر للطباعة.

(في قصص القرآن)

- ٤٥- قصص الأنبياء - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٤٦- قصص القرآن - محمد أحمد جاد المولى وأخرون - دار الجيل.
٤٧- أنبياء الله - أحمد بهجت - دار الريان للتراث.
٤٨- قصص الأنبياء لابن كثير - دار الكتب الحديثة.

علم الحديث

- ٤٩- الحديث في علوم القرآن والحديث - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٥٠- مفاتيح علم الحديث وطرق تخريجه - محمد عثمان الخشت - مكتبة القرآن.
٥١- تيسير مصطلح الحديث - محمود الطحان - دار التراث العربي.
٥٢- أصول الحديث النبوي - الحسيني عبد المجيد هاشم - دار الشروق.
٥٣- مباحث في علوم الحديث - مناع القطان - مكتبة وهبة.
٥٤- النفيس في مصطلح الحديث - محمد عبد العزيز الهلاوي - مكتبة القرآن.
٥٥- الوسيط في علم الحديث - نصر فريد - دار الكتاب الجامعي.
٥٦- السنة النبوية وعلومها - أحمد عمر هاشم - دار غريب.
٥٧- مصطلح الحديث - محمد بن صالح العثيمين - مكتبة العلم.

أصول الفقه

- ٥٨- علم أصول الفقه - عبد الوهاب خلاف - دار القلم.
٥٩- أصول الفقه - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي.
٦٠- أصول الفقه - محمد الخضري - دار الجيل.
٦١- مصادر التشريع الإسلامي - السيد سابق - الفتح للإعلام العربي.
٦٢- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية - يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.
٦٣- الأصول من علم الأصول - محمد بن صالح بن عثيمين - دار عالم الكتاب بالرياض.
٦٤- مصادر التشريع الإسلامي، فيما لا نص فيه - عبد الوهاب خلاف - دار القلم.

العبادات

- ٦٥- فقه العبادات في الإسلام - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٦٦- منهاج المسلم (فصول العبادات) - أبو بكر الجزائري - دار مكتبة المنتبني.

مراجع ميبوبة مختارة

- ٦٧- الإسلام وأركانه (سلسلة الطريق إلى الله/٢) - ياسين رشدي- نهضة مصر.
٦٨- الفقه الميسر في العبادات والمعاملات - أحمد عيسى عاشور- مكتبة القرآن.
٦٩- فقه السنة (ج١)- السيد سابق - الفتح للإعلام العربي.
٧٠- سلسلة أركان الإسلام (٥/١) - وهبى سليمان غاوجي - مؤسسة الرسالة.
٧١- سلسلة أركان الإسلام (٥/١)- محمد عبد الرزاق نوفل - دار الشروق.
٧٢- فقه المسلم على المذاهب الأربعة - إبراهيم الجمل - دار الشروق.
٧٣- الفقه على المذاهب الأربعة (العبادات) - لجنة من علماء الأزهر- دار الشعب.
٧٤- الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن الجزيري - دار الجيل.

(في الصلاة):

- ٧٥- كيفية الصلاة - عبده غالب أحمد عيسى- دار الجيل.
٧٦- كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم - عبد العزيز بن باز - مكتبة السنة.

(في الزكاة):

- ٧٧- كيفية الزكاة - عبده غالب أحمد عيسى - دار الجيل.
٧٨- الزكاة في الإسلام - حسن أيوب - دار القلم.
٧٩- كيف تقدر وتؤدي زكاة أموالك - ناجي الشرييني علي (نشر المؤلف).
٨٠- فقه الزكاة (٢/١) - يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة.

(في الصوم):

- ٨١- كيفية الصيام - عبده غالب أحمد عيسى - دار الجيل.
٨٢- فقه الصيام - محمد حسن هيتو- دار البشائر الإسلامية.
٨٣- فقه الصيام - يوسف القرضاوي - دار الوفاء.

(في الحج):

- ٨٤- دليل الحج والعمرة - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

السلوك

- ٨٥- من أخلاق الإسلام - ياسين رشدي- نهضة مصر.
٨٦- المحظورات - ياسين رشدي - نهضة مصر.
٨٧- خلق المسلم - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة.
٨٨- الحلال والحرام في الإسلام - يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة.

مراجع ميبوبة مختارة

- ٨٩- منهاج المسلم (فصول الآداب والأخلاق) - أبو بكر الجزائري - دار مكتبة المتنبى.
- ٩٠- ففروا إلى الله - أبو ذر القلموني - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٩١- السلوك الاجتماعي في الإسلام - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٩٢- تربية الأولاد في الإسلام (٢/١) - عبد الله ناصح علوان - دار السلام ببيروت.
- ٩٣- سلسلة: من صفات عباد الرحمن - دار الصحابة للتراث بطنطا.
- ٩٤- سلسلة: من صفات عباد الشيطان - دار الصحابة للتراث بطنطا.
- ٩٥- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام (٦/١) - عطية صقر - الدار المصرية للكتاب.

المعاملات

- ٩٦- منهاج المسلم - أبو بكر الجزائري - دار مكتبة المتنبى.
- ٩٧- فقه السنة (ج٣، ٢) - السيد سابق - الفتح للإعلام العربي.
- ٩٨- الفقه الواضح (٤/١) - محمد بكر إسماعيل - دار المنار.
- ٩٩- الفقه الشامل - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ١٠٠- الفقه الميسر في العبادات والمعاملات - أحمد عيسى عاشور - مكتبة القرآن.
- (في الأسرة):**
- ١٠١- فقه الأسرة المسلمة - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ١٠٢- الإيضاح في أحكام النكاح - محمد متولي الصباغ - مكتبة مدبولي.
- ١٠٣- الزواج في ظل الإسلام - عبد الرحمن عبد الخالق - دار القلم.
- ١٠٤- الزواج وأحكامه في مذهب أهل السنة - السيد أحمد فرج - دار الوفاء.
- ١٠٥- علم الميراث - عبده غالب أحمد عيسى - دار الجيل ببيروت.
- (في الاقتصاد):**
- ١٠٦- فقه المعاملات المالية في الإسلام (٢/١) - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ١٠٧- تحريم الربا وتنظيم اقتصادي - محمد أبو زهرة - الزهراء للإعلام العربي.
- ١٠٨- فوائد البنوك هي الربا الحرام - يوسف القرضاوي - دار الوفاء.
- ١٠٩- مشكلة الاستثمار في البنوك الإسلامية وكيف عالجه الإسلام - محمد صلاح الصاوي - دار الوفاء.

(في الأمة):

- ١١٠- دستور للأمة من القرآن والسنة - عبد الناصر توفيق العطار - مكتبة وهبة.
- ١١١- في النظام السياسي للدولة الإسلامية - محمد سليم العوا- دار الشروق.
- ١١٢- كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية - أحمد شوقي الفنجري - الهيئة العامة للكتاب.
- ١١٣- الدستور الإسلامي - أبو بكر الجزائري - المكتب الإسلامي.
- ١١٤- الخلافة - محمد متولى الشعراوى - مكتبة التراث الإسلامي.
- ١١٥- فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية - عبد الرزاق أحمد السنهورى - الهيئة العامة للكتاب.
- ١١٦- السلطات الثلاث فى الإسلام: التشريع، القضاء، التنفيذ - عبد الوهاب خلاف - دار القلم.
- ١١٧- الإسلام والديمقراطية - فهمى هويدى - دار الشروق.
- ١١٨- فقه الشورى والاستشارة - توفيق الشاوى - دار الوفاء.
- ١١٩- الأقباط والإسلام - محمد سليم العوا - دار الشروق.
- ١٢٠- الحدود فى الإسلام - أحمد فتحى بهنسى - مؤسسة الخليج العربى.
- ١٢١- الخمر والمخدرات فى الإسلام - أحمد فتحى بهنسى - مؤسسة الخليج العربى.

السيرة النبوية

- ١٢٢- سيرة خاتم النبيين - أبو الحسن الندوي - مؤسسة الرسالة.
- ١٢٣- السيرة النبوية (موسوعة الأسرة المسلمة) - أطفالنا.
- ١٢٤- السيرة النبوية: دروس وعبر - مصطفى السباعي - مؤسسة الرسالة.
- ١٢٥- تهذيب سيرة ابن هشام - عبد السلام محمد هارون - مكتبة القرآن.
- ١٢٦- الرحيق المختوم - صفى الرحمن المباركفوري - دار الوفاء.
- ١٢٧- فقه السيرة - محمد الغزالي - دار الريان للتراث.
- ١٢٨- فقه السيرة النبوية - محمد سعيد رمضان البوطي- دار الفكر بدمشق وبيروت.

(سير الصحابة)

- ١٢٩- في رحاب الأصحاب - ياسين رشدي - نهضة مصر.
- ١٣٠- الصحابة (موسوعة الأسرة المسلمة) - أطفالنا.
- ١٣١- رجال حول الرسول - خالد محمد خالد - دار ثابت.
- ١٣٢- خلفاء الرسول - خالد محمد خالد - دار ثابت.
- ١٣٣- صور من حياة الصحابة - عبد الرحمن رأفت الباشا - مؤسسة الرسالة ببيروت.
- ١٣٤- الخلفاء الراشدون - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(أمهات المؤمنين)

- ١٣٥- نساء مؤمنات - ياسين رشدي - نهضة مصر.
- ١٣٦- النساء المؤمنات (موسوعة الأسرة المسلمة) - أطفالنا.
- ١٣٧- تراجم سيدات بيت النبوة - عائشة عبد الرحمن - دار الريان.